# لفت الأنظار
## إلى مقامات الصديق رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

# لفت الأنظار
## إلى مقامات الصديق رضي الله عنه

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

١٠٩٠٣/٢٠١٦م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-153-7

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

# لفت الأنظار

## إلى مقامات الصديق رضي الله عنه

في قوله تعالى:

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾

تأليف

د. أحمد خضر حسين الحسن

ويليه رسالة بعنوان

## القام الحجر لمن زكى سباب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للسيوطي

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# المُقَدِّمَة

الحمد لله ذي النعم الجزيلة التي أعيَت المُحصين، حمدًا يليق بجلاله وعظمته بعدد ما في السموات والأرض من المخلوقين، والشكر له شكرًا يعجز عن إحصائه عد العادين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسَلين، الذي بعثَه الله بدِين الإسلام رحمةً للعالمَين، وجعل أمَّته خيرَ أمة أُخرجت للناس، ولم يرضَ لعباده دينًا سواه، وقصر الفلاح والفوز برضاه على مَن اتَّبع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما سار عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

**أما بعد:** فهذا مبحث لطيف أحببت أن أجمع فيه الأدلة من الكتاب والسنة والآثار التي تدل على المنزلة العالية والمقام الرفيع الذي بلغه أبو بكر الصديق، ذلك لأن غالبية المسلمين في هذا العصر يعلمون علو منزلة الصديق علمًا مجملًا فأحببت أن يكون ذلك العلم مفصلًا، لأن العلم الإجمالي قد يضمحل ويزول عند ورود الشبهات فينحرف صاحبه عن جادة الصواب، وأما العالم بدقائق العلم وتفاصيله فإنه يكون صاحب قدمًا راسخة ومواقفه ثابتة فلا تنطلي عليه الشبهات المغرضة أو التأويلات الفاسدة، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى مما رسخ في قلوب المؤمنين محبة سيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونحن إذ نحاول التعرف على الصديق من خلال تلك المقامات العالية إنما نحاول أن نزيد من محبته في القلوب، ولا شك أن هذا الحب مما ينفع في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فالحب يدفع للتأسي والاقتداء: وقد أمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتأسي بأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على وجه الخصوص فقال في الحديث الذي رواه عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ**».

[رواهُ أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٨٠٥)]

ومما هو معلوم أنه كلما ازداد الحب سهل الاقتداء، وهذا مشاهد بين الأصحاب فتجد أن أحدهما يقلد الآخر في حركاته وطريقة كلامه ونحو ذلك.

فالطاعة والاقتداء ثمرة طبيعية للحب الصادق، فنسأل الله الصدق في محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه الكرام.

وأما الانتفاع بحب الصديق في الآخرة: فلأنه جاء في الحديث عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله، قال: «**فإنك مع من أحببت**»، قال أنس: «فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإنك مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم».

وروى البخارى ومسلم أيضًا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المرء مع من أحب**».

وأعجبني قول بعضهم في مدح الصديق: «دُعي إلي الإسلام فما تلعثم ولا أبى، وسار على المحجة، فما زلّ، ولا كبا، وصبر فى مدته من مدى العدى، على وقع الشبا، وأكثر فى الإنفاق فما قلل حتى تخلل بالعبا، تالله لقد زاد على السبك فى كل دينار دينار ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾، من كان قرين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شبابه، من ذا الذي سبق إلى الإيمان من أصحابه، من الذى أفتى بحضرته سريعًا في جوابه، من أول

من صلى معه، من آخر من صلى به، من الذي ضاجعه بعد الموت فى ترابه، فاعرفوا حق الجار، نهض يوم الردة بفهم، واستيقاظ، وأبان من نص الكتاب معنى دق عن حديد الالحاظ، فالمحب يفرح بفضائله، والمبغض يغتاظ حسرة، الرافضي أن يفر من مجلس ذكره، ولكن أين الفرار، كم وقى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمال، والنفس، وكان أخص به فى حياته،وهو ضجيعه فى الرمس، فضائله جليلة وهى خلية عن اللبس.

ياعجبًا!! من يغطى عين ضوء الشمس في نصف النهار، لقد دخلا غارًا لا يسكنه لابث، فاستوحش الصديق من خوف الحوادث، فقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ظنك باثنين والله الثالث، فنزلت السكينة فارتفع خوف الحادث، فزال القلق وطاب عيش الماكث فقام مؤذن النصر ينادى على رؤوس منائر الأمصار ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾، حبه والله رأس الحنيفية، وبغضه يدل على خبث الطوية، فهو خير الصحابة، والقرابة والحجة على ذلك قوية، فيا مبغضيه في قلوبكم من ذكره نار، كلما تليت فضائله علا عليهم الصغار، أتري لم يسمع الروافض الكفار ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾.

وقبل ختام هذه المقدمة أذكر قول ابن حجر الهيثمي -في كتابه الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: (اعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم اختلفوا -في غيرهما- فالأكثرون ومنهم الشافعي وأحمد وهو المشهور عن مالك أن الأفضل بعدهما عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقيل بالوقف عن التفاضل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبد الله المازري عن المدونة أن مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم فقال أبو بكر ثم عمر ثم قال أوفي ذلك شك، فقيل له وعلي وعثمان فقال ما أدركت أحدًا ممن أقتدي به يفضل أحدهما

على الآخر انتهى، وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أوفي ذلك شك يريد ما يأتي عن الأشعري أن تفضيل أبي بكر ثم عمر على بقية الأمة قطعي وتوقفه هذا رجع عنه فقد حكى القاضي عياض عنه أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان قال القرطبي وهو الأصح إن شاء الله تعالى. ومال إلى التوقف إمام الحرمين فقال وتتعارض الظنون في عثمان وعلي ونقله ابن عبد البر عن جماعة من السلف من أهل السنة منهم مالك ويحيى القطان ويحيى بن معين قال ابن معين ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة. ولا شك أن من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم وزعم ابن عبد البر أن حديث الاقتصار على الثلاثة أبي بكر وعمرو وعثمان مخالف لقول أهل السنة إن عليًا أفضل الناس بعد الثلاثة مردود بأنه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله. وأما حكاية أبي منصور البغدادي الإجماع على أفضلية عثمان على علي فمدخولة وإن نقل ذلك عن بعض الحفاظ وسكت عليه لما بيناه من الخلاف) انتهى.

هذا وقد سميت هذا الكتاب بـ (لَفْتُ الأَنْظَارِ إِلَى مَقَامَاتِ الصِّدِّيقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾) هذا وقد جاء البحث في أربعة فصول:

**الفصل الأول:** بيان منزلة الصديقية وما يتعلق بها.

**الفصل الثاني:** تعريف موجز بأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**الفصل الثالث:** آيات أُنزلت في مدح أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**الفصل الرابع:** بعض ما ورد من الأحاديث في فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**الفصل الخامس:** مقامات الصديق في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾.

**الفصل السادس:** تفنيد آراء الروافض في تحريفهم وتبديلهم لهذه المناقب.

**الخاتمة.**

**ختامًا:** أرجو أن أكون قد قدمت للقارئ الكريم مادة علمية مفيدة يزيد بها الإيمان ويرتفع بها في عالي الجنان وأسأل الله أن ينفعني به وجميع المسلمين. والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

**أخوكم**

د. أحمد خضر حسنين الحسن

doctorahmed33027886@gmail.com

**الدوحة – تاريخ ٤/ شوال /١٤٣٦**

**الموافق ٢٠/ يوليو /٢٠١٥**

# ! +

## ꞰꞪƛ Āǫūǭǽ Ꝁǭƿ ɳǾÆǽƴǳǩƗ ɳǩƷǅǭ ƷꞰǾƛ Æə

:YƿYǸǩƗ ǬǾ ƭ ƸǩƗ Ż Ɨ Ǵ Ʒ ƭ Ʒ ɳǽƸǸ ʅ ǩƗ ǬǾā ǰƛƗ ǫÊ ǥ ǰǭ :ɳǼÆǽǶǳǩƗ ɳǩƷǅǭ

**تعريف الصدّيقية:** (الصدّيقية: كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهرًا وباطنًا).

مفتاح الصديقية مبدؤها وغايتها: ما جاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»، فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها وهي غايته فلا ينال درجتها كاذب ألبتة لا في قوله ولا في عمله ولا في حاله ولا سيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته ونفي ما أثبته أو إثبات ما نفاه عن نفسه فليس في هؤلاء صديق أبدا وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرمه وتحريم ما لم يحرمه وإسقاط ما أوجبه وإيجاب ما لم يوجبه وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه كل ذلك مناف للصديقية.

**حقيقة الصديقية:** فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال القلوب التي هي من أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

**الصديقية أعلى مراتب الصدق:** قال ابن القيم: «فأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل».

منزلة الصديقية في الإسلام وأهميتها: قال ابن القيم: «هي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه من صال به لم ترد صولته ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين ومن مساكنهم في الجنات: تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين.

وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان: أن يكونوا مع الصادقين وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ** ﴾ [التوبة:١١٩] وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ [النساء:٦٩] فهم الرفيق الأعلى وحسن أولئك رفيقا ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه ومزيده إحسانا منه وتوفيقًا ولهم مرتبة المعية مع الله فإن الله مع الصادقين ولهم منزلة القرب منه إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين.

:ŋØǼǽɣdžǩƚ ǓĦǸǅǫ

١- **فالصدق في الأقوال:** استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

٢- **والصدق في الأعمال:** استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد.

٣- **والصدق في الأحوال:** استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة. فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق.

وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته ولذلك كان لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ذروة سنام الصديقية سمي الصديق على الإطلاق والصدّيق أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق.

الصديقية أعظم مرتبةً من مرتبة التحديث: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والصديق أكمل من المحدث لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف فإنه قد سلّم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عما منه.

وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول فإن وافقه قبله وإلا رده فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث».

**عنوان الصدّيقيّة:** قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الرحيم الودود: «فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية وفيه تفاوتت مراتب العلماء، حتى عد ألف بواحد فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة إذا جاء نصر الله والفتح وما خص به ابن عباس من فهمه منها أنها نعى الله سبحانه نبيه إلى نفسه وإعلامه بحضور أجله وموافقة عمر له على ذلك وخفائه عن غيرهما من الصحابة وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنا وأين تجد في هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم الخاص ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس فيحتاج مع النص إلى غيره ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها».

**السبيل إلى الصديقية:** قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الرحيم الودود: «فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة ولأجل هذه المراغمة حمد التبختر بين

الصفين والخيلاء والتبختر عند صدقة السر حيث لا يراه إلا الله لما في ذلك من إرغام العدو وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول، وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله. وصاحب هذا المقام إذا نظر إلى الشيطان ولاحظه في الذنب راغمه بالتوبة النصوح فأحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى».

**أحوال مرتبة الصديقية**: وقد أمر الله تعالى رسوله: أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال: وقال: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء:٨٠]. وأخبر عن خليله إبراهيم أنه سأله أنه يهب له لسان صدق في الآخرين فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق - ومخرج الصدق: فمدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقا ثابتا بالله وفي مرضاته بالظفر بالبغية وحصول المطلوب ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها ولا له ساق ثابتة يقوم عليها.

ولسان الصدق: وأما لسان الصدق: فهو الثناء الحسن عليه من سائر الأمم بالصدق ليس ثناء بالكذب كما قال عن إبراهيم وذريته من الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٠] والمراد باللسان ههنا: الثناء

الحسن فلما كان الصدق باللسان وهو محله أطلق الله سبحانه ألسنة العباد بالثناء على الصادق جزاء وفاقًا وعبر به عنه.

**وقدم الصدق:** وأما قدم الصدق: ففسر بالجنة وفسر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفسر بالأعمال الصالحة، وحقيقة القدم ما قدموه وما يقدمون عليه يوم القيامة وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك.

**ومقعد الصدق:** الجنة، وحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل لرضوانه.

أعلى درجة الصديقية وأكمل الناس فيها: (إن مثل حال الصدّيق مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمثل رجلين دخلا دارًا، فرأى أحدهما تفاصيل ما فيها وجزئياته والآخر: وقعت يده على ما في الدار ولم ير تفاصيله ولا جزئياته لكن علم أن فيها أمورا عظيمة لم يدرك بصره تفاصيلها ثم خرجا فسأله عما رأى فى الدار فجعل كلما أخبره بشيء صدقه لما عنده من شواهده وهذه أعلى درجات الصديقية ولا تستبعد أن يمن الله المنان على عبد بمثل هذا الإيمان فإن فضل الله لا يدخل تحت حصر ولا حسبان فصاحب هذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نور من البصيرة ازداد بها نورا إلى نوره).

وبهذا يتبين أن التسليم لله وللرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من أجل مقامات الإيمان وأعلى طرق الخاصة وأن التسليم هو محض الصديقية التي هي بعد درجة النبوة وأن أكمل الناس تسليما أكملهم صديقية).

«وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا غفرت له ذنوبه**» وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي وقد تضمنا الرضى بربوبيته سبحانه وألوهيته والرضى برسوله والانقياد له والرضى بدينه والتسليم له ومن اجتمعت له هذه الأربعة: فهو الصديق حقًّا وهي سهلة

بالدعوى واللسان وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها من ذلك: تبين أن الرضى كان لسانه به ناطقا فهو على لسانه لا على حاله».

الصديقية أعظم درجة من جميع الطاعات الأخرى: كالجهاد والصيام والقيام.... وغير ذلك. فما سبق الصدّيق الصحابة بكثرة عمل وقد كان فيهم من هو أكثر صيامًا وحجًّا وقراءة وصلاة منه ولكن بأمر آخر قام بقلبه حتى إن أفضل الصحابة كان يسابقه ولا يراه إلا أمامه ولكن عبودية مجاهد نفسه على لذة الذنب والشهوة قد تكون أشق ولا يلزم من مشقتها تفضيلها في الدرجة فأفضل الأعمال الإيمان بالله والجهاد أشق منه وهو تاليه في الدرجة ودرجة الصديقين أعلى من درجة المجاهدين والشهداء.

الصدّيقون أكمل الناس أدبا مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم: وانظر أدب الصديق رضي الله عنه مع النبي في الصلاة: أن يتقدم بين يديه فقال: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده فكان ذلك التأخر إلى خلفه وقد أومأ إليه أن: اثبت مكانك جمزا وسعيا إلى قدام بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قدام تنقطع فيها أعناق المطي والله أعلم.

الصديقون أكثر الناس فراسة: «كان الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة وبعده عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ووقائع فراسته مشهورة فإنه ما قال لشيء: أظنه كذا إلا كان كما قال ويكفي في فراسته: موافقته ربه في المواضع المعروفة».

من هم الذين نالوا منزلة الصديقية: وأول من أطلق عليه هذا الاسم من هذه الأمة سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه عندما رد على المشركين المستنكرين خبر الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم قائلًا: إن كان قاله فقد صدق، جاء في الدر المنثور للسيوطي: فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: يا أبا بكر هل لك في صاحبك؟ يخبر أنه أتى في

ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع من ليلته! فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن كان قاله فقد صدق، وإنا لنصدقنه فيما هو أبعد من هذا نصدقه على خبر السماء... ومن ذلك اليوم سمي أبو بكر الصديق. اهـ.

كما أطلقت هذه المرتبة في القرآن الكريم على مريم بنت عمران عَلَيْهَا السَّلَامُ قال تعالى: ﴿**مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ**﴾ [المائدة:٧٥].

**وأما درجة الصديقية**: فهي باقية وليست قاصرة على طبقة الصحابة والسلف الصالح وإن كانوا هم -بلا ريب- رؤوس الصديقين وأكابرهم، لكن من عمل بعملهم وسار على طريقهم واتبع سنتهم كان منهم، ومما يدل على ذلك أن رجلًا جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وقمته وآتيت الزكاة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء**». قال المنذري: رواه البزار بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه وابن حبان. انتهى. وصححه الألباني. وروى الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد مرفوعًا: التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء.

وهذا هو مذهب جمهور أهل العلم من المفسرين وغيرهم أن ذلك عام في كل من هذه صفته، قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ اللَّهُ الرحيم الودود- في زاد المسير: الجمهور على أن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين عام في جميع من هذه صفته، وقال عكرمة: المراد بالنبيين هاهنا محمد، والصديقين أبوبكر، وبالشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين سائر الصحابة، انتهى.

قال صاحب تفسير روح البيان في تفسيرها: (الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وهم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي

وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ألحقه الله بهم وإن تم به الأربعون لما عرف من صدق نيته). مما يدل على صديقية العبد أن يهب نفسه وماله وولده ووقته للدعوة إلى الله، ها هو الصديق بماله يجهز الناقتين للهجرة، ويحمل ماله كله وقدره ستة آلاف درهم، دأبَه في إنفاق المال نصرة للإسلام كلَّ حياته حتى قاتل مانعي الزكاة حين خلافته، ها هو يثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**» فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله [رواه أحمد].

فقد كان بيته رضي الله عنه جندًا للدعوة بابنه عبد الله وابنته أسماء ذات النطاقين ومولاه عامر بن فهيرة، فمن أراد أن يكون صديقًا فليتأس بأبي بكر ومن بعده من رجال الدعوة أهل الله.

# @ +

## Āǽydžǩł Ƹ Ğ ƛ ÆƛƎƛ ƷΣǸǭ ǜ ǽƸǖơ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

هذا الفصل عقدته لإعطاء نبذة مختصرة عن شخصية خليفة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأقول ومن الله أرجو التوفيق والقبول:

١- هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي نسبة إلى بني تيم بن مرة، والده يلقب بأبي قحافة، أمه أم الخير بنت صخر بن عامر بنت عم أبيه، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر.

٢- كان من السابقين إلى الإسلام -هو أول من آمن بالرسول من الرجال- وله مكانة عظيمة في قريش، حيث كان من أعلم قريش بأنسابها، ويألفونه كثيرًا، وقد استغل هذه المكانة المرموقة في نفوسهم للدعوة إلى الله تعالى، فقد أسلم على يديه مجموعة من أفاضل المهاجرين المشهود لهم بالجنة أمثال الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد ابن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

٣- كان اسمه في الجاهليّة عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عبد الله، وكان يُقال له: عَتيق، قال رسول الله: «**مَنْ سَرّه أن ينظر إلى عتيقٍ من النّار فلينظر إلى هذا**». ولما أُسْرِي بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى المسجد الأَقصى، أَصبح يُحدِّث بذلك الناس، فارتدَّ ناس مِمَّن كان آمن، وفُتِنُوا، فقال أَبو بكر: إِني لأُصدقه فيما هو أَبعد من ذلك أُصدّقه بخبر السماءِ غَدْوَة أَو رَوْحَة، فلذلك سمي أَبو بكر الصدِّيق).

٤- أول الخلفاء الراشدين (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م)، صحب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قبل البعثة وبعدها، وبذل ماله كله في سبيل الله، ورافق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها، بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، حارب أهل

الردة والممتنعين عن الزكاة. وروي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ عَنْهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ، إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ مَا عَتَّمَ حِيْنَ ذَكَرْتُهُ لَهُ مَا تَرَدَّدَ فِيْهِ**». قال بعض العلماء هذا حديثٌ ضعيف المبنى -أي الإسناد- صحيح المعنى فلمعناه شواهد لا للفظه.

٥- هاجر أَبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصَحِبَه في الغار لما سارا مُهَاجرَيْن، وآنسه فيه، ووقاه بنفسه، وقد كان قبل الهجرة يستأذنه في الخروج، فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تَعْجَلْ، لَعَلَّ الله يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا**»، فلما كانت الهجرة جاءَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلى أَبي بكر وهو نائم فأَيقظه، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوْجِ**»، قالت عائشة: فلقد رأَيت أَبا بكر يبكي من الفرح. ولما خرجا للهجرة، يقول أبو بكر: فلم يدركنا أَحد من المشركين إِلا سُراقة بن مالك، فقلت: يا رسول الله، هذا الطَلَبُ قد لِحَقنا؟ قال: لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا، حتى إِذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رُمح أَو رمحين، قلت: يا رسول الله، هذا الطَّلَب قد لحقنا وبْكيتُ، قال:لم تبكي؟ قال: قلتُ: والله، ما على نفسي أَبكي، ولكني أَبكي عليك، فدعا عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ**»، فساخَتْ فرسهُ إِلى بطنها في أَرض صَلْد، وقال سراقة: يا محمد، قد علمتُ أَن هذا عَمَلُك، فادع الله أَن ينجيني مما أَنا فيه، فوالله لأعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائي من الطَّلَب، وهذه كِنَانتي فَخُذْ منها سهمًا، فإِنك ستمر على إِبلي، وغنمي في موضع كذا، فَخُذْ منها حاجتك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ حَاجَةَ لِي فِيْهَا**»، قال: ودعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُطْلِقَ، ومضى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَنا معه، حتى قدمنا المدينة، فتلقاه الناس بالبشر في الطرقات.

٦- من مناقبه: مناقب الصديق كثيرة وستأتي في الفصل الخامس -إن شاء الله- ولكن هنا نشير إلى جزء يسير منها:

- من أعظم مناقب أبي بكر قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠].

- وشهد أَبو بكر بدرًا، وأُحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودفع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رايته العظمى يوم تَبُوك إِليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وروى أنس بن مالك عن النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أرْحَمُ أمّتي بأمّتي أبو بكر**».

٧- خلافته: وبعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت الأنصار: مِنّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أنّ رسول الله أمر أبا بكر أن يصلّي بالنّاس؟ قالوا: بَلَى، قال: فأيّكم تطيبُ نفسه أنْ يتقدّم أبا بكر؟ قالوا: نعوذ بالله أن نتقدّم أبا بكر. هو أَول خليفة كان في الإِسلام، ولمّا وَلِيَ أبو بكر خَطَبَ النّاسَ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعدُ أيّها النّاس قد وَليتُ أمْرَكم ولستُ بخيْرِكم، وَلكن نَزَلَ القُرآنُ، وسنّ النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السّنَنَ، فعَلّمنا فعَلِمْنا، اعْلَموا أنّ أكْيسَ الكيس التّقوى، وأنّ أحْمَقَ الحُمْق الفُجور، وأنّ أقواكم عندي الضّعيف حتّى آخُذَ له بحقّه، وأنّ أضعفكم عندي القويّ حتى آخذَ منه الحقّ، أيّها النّاس إنّما أنا مُتّبعٌ، ولستُ بمُبْتَدِعٍ، فإنْ أحْسَنْتُ فأعينوني، وإنْ زُغْتُ فقَوّموني. وبعدما ولي أمر المسلمين خليفة لرسول الله، أصبح في اليوم التالي غاديًا إلى السوق، وعلى رَقَبَتِهِ أثْوابٌ يَتّجِرُ بها، فلَقِيَهُ عمرُ بن الخطّاب، وأبو عُبيدة بن الجرّاح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تَصْنَعُ ماذا وقَدْ وليتَ أمرَ المسلمينَ؟ قال: فمِنْ أين أُطْعِمُ عِيالي؟ قالا له: انْطَلِقْ حتّى نَفْرِضَ لكَ شَيْئًا، فانطلق معهما، ففرضوا له كلّ يوم شَطْرَ شاة، وما كسوه في الرأس والبَطْن، فقال عمر: إليّ القضاء، وقال أبو عُبيدة: وإليّ الفَيْءُ، قال عمر: فلقد كان يأتي عَليّ الشّهْرُ ما

يَخْتَصِمُ إليّ فيه اثْنَان -كناية عن عدل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث اختفت الخصومات في عهده بين الناس.

٨- الفتوحات في عهده: حارب أبو بكر المرتدين ومانعي الزكاة وأغلظ عليهم، وما إن انتهت حروب الردة واستقرت الأمور في شبه الجزيرة العربية حتى شرع خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تجهيز الجيوش للتحرك خارج شبه الجزيرة العربية لنشر دين الله عَزَّوَجَلَّ، فأرسل خالد بن الوليد والمثنى بن حارث الشيباني إلى العراق، وخالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش إلى بلاد الشام، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان إلى الأردن، وكانت هذه الجيوش هي الطليعة التي اعتمد عليها عمر ابن الخطاب بعد ذلك واستكمل ما بدأه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩- أسرته: لقد تزوج أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث وهن على التوالي:

- قتيلة بنت عبد العزى: اختلف في إسلامها، وقد ولدت له عبد الله وأسماء وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية وهي التي جاءت بعد الإسلام بهدايا لابنتها في المدينة فأبت أسماء أن تصلها لكونه كافرة حتى سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي قال: نعم صلي أمك. رواه البخاري.

- أم رومان بنت عامر بن عويمر: من بني كنانة مات عنها زوجها بمكة فتزوجها بعده أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولدت له عبد الرحمن وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد أسلمت أم رومان قديما وبايعت وتوفيت في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة سنة ست من الهجرة.

- أسماء بنت عميس: أم معبد من المهاجرات الأوائل أسلمت قديما قبل دخول دار الأرقم وهاجر بها زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ثم إلى المدينة وبعدما استشهد جعفر في غزوة مؤتة تزوجها أبو بكر وولدت له محمدا في ذي الحليفة في حجة الوداع.

- حبيبة بنت خارجة بن زيد: الأنصارية الخزرجية وهي التي ولدت بعد وفاته أم كلثوم بنت أبي بكر، وقد كان الصديق يقيم عندها بالسنح.

١٠- **مرضه**: كان أوّلُ بَدْءِ مرض أبي بكر، أنّه اغتسل في يوم باردٍ فحُمّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بن الخطّاب يصلّي بالنّاس، ويَدْخُلُ النّاس عليه يعودونه، وهو يثقل كل يومٍ، وكان عثمان أَلْزَمَهُم له في مرضه، ولما دخلوا على أَبي بكر في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، أَلا ندعوا لك طبيبًا ينظر إِليك؟ قال: قد نظر إِليَّ، قالوا: ما قال لك؟ قال: إِني فعال لما أُريد، وعن عائشة قالت: ما ترك أبو بكر دينارًا، ولا درهمًا. وقالت: لمّا حُضِرَ أبو بكر قلتُ كلمةً من قول حاتم:

**لَعمرُكَ ما يُغني الثراءُ عن الفَتى ... إذا حشرَجتْ يوْمًا وضاقَ بها الصدرُ**

فقال: لا تقولي هكذا يا بُنيّة، ولكن قولي: ﴿ **وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ** ﴾ [ق:١٩].

١١- اختياره لعمر بن الخطاب خليفة على المسلمين من بعده: ولما اشتد المرض به دعا عبد الرّحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطّاب، فقال: ما تَسْألني عن أمر إلا وأنت أعلم به منّي، فقال أبو بكر: وإنْ، فقال عبد الرّحمن: هو والله أَفْضَلُ من رأيك فيه، ثمّ دعا عثمان بن عفّان فقال: أَخْبِرْني عن عمر، فقال: أنت أخبرُنا به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللّهُمّ عِلْمي به أنّ سريرته خير من علانيته، وأنّه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تَركْتُه ما عَدَوْتُك، وشاوَرَ معهما سعيد بن زيد أبا الأعور، وأُسَيْدَ بن الحُضَير وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وسَمعَ بعضُ أصحاب النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدخول عبد الرّحمن وعثمان على أبي بكر وخَلْوَتِهما به، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائلٌ منهم: ما أنت قائلٌ لربّك إذا سألك عن استخلافك عُمَرَ علينا، وقد

تَرى غِلْظَتَه؟ فقال أبو بكر: أَجْلِسوني، أبالله تُخَوفوني؟ خابَ مَنْ تَزَوَّد من أمركم بظُلم، أقولُ: اللّهمّ استخلفتُ عليهم خير أهلك، أَبْلِغ ما قلت لك مَنْ وَرَاءَك.

١٢- وفاته ودفنه والصلاة عليه: قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حَضَرَه الموت: كفّنوني في ثوبيّ هذين اللّذين كنتُ أصَلّي فيهما واغسلوهما فإنّهما للمُهْلة والتراب. وقد صلي عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمر بن الخطاب بين القبر والمنبر. وأوصى أبو بكر عائشةَ أن يدْفَنَ إلى جَنْبِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمّا توفّي حُفر له وجُعل رأسُه عند كَتِفَيْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وتوفي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ساء ليلة الثلاثاء لثّماني ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من هجرة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت خلافته سنتين وبضعة أشهر.

١٣- قال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرثي الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إذا تذَكَّرْتَ شَجوًا مِن أخِي ثِقَةٍ ... فاذكُرْ أخاكَ أبا بكر بما فَعلا

التّالِيَ الثّانِيَ المحمودَ مَشهدُهُ ... وأوّلَ الناسِ مِنهمْ صَدَّقَ الرُّسُلا

وثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنيفِ ... وقد طاف العدُوُّ بهِ إذْ صَعَّدَ الجبَلا

وكان حِبَّ رسولِ اللهِ قد عَلِموا ... خَيْرِ البريَّةِ لم يَعدِلْ به رَجُلاَ

وقال فيه أبو محجن الثقفي:

وَسمِّيت صدِّيقًا، وَكُلُّ مُهَاجِرٍ ... سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرُ مُنْكَرِ

سَبَقْت إِلَي الإِسلاَمِ وَاللهُ شَاهِدٌ ... وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالعَرِيشِ المُشَهَّرِ

وَبِالغَارِ إِذْ سُمِّيتَ بِالغَار صَاحِبًا ... وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ المُطَهَّرِ

# # +

## Āǽyǆžǩł Ꜫ Ğ ƛ Æƛ ƫ yǭ Æə Oǩʒ Ɵƙǽđ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مما هو معلوم لدى كل مسلم أن الله سبحانه قد أنزل في كتابه عددًا كبيرًا من الآيات في بيان فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وما لهم عند الله تعالى من الأجر الكبير والمنزلة الرفيعة فعلى سبيل المثال: هناك آيات في فضل أهل بدر وآيات في في فضل بيعة الرضوان كما أن هناك آيات في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار إلى غير ذلك، فأقول مما لا ريب فيه أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدخل في جميع تلك الآيات وله فيها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر ولكن ما سأذكره هنا آيات قال فيها أهل التفسير أنها أنزلت في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على وجه الخصوص وهو ما توصلت إليه على ما في بحثي من نقص وقصور.

**الآية الأولى:** في الصدق والتصديق: قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ**﴾ [الزمر:٣٣-٣٦].

قال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ الرحيم الودود: وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو العالية، والكلبي، وجماعة: الذي جاء بالصدق هو الرسول، والذي صدق به هو أبو بكر.

- وعلى قول الطبري أنها عامة في كل من جاء بالصدق من اصحاب الرسالات وكل من صدق به، فالذي جاء بالصدق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعظم من صدق به الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أول المقصودين بالآية وما بعدها.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦] إشارة إلى آية الغار: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] فكما نصره بواحد صدقه بواحد ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]. ولا شك أن المصدقين كثيرون ولكن أعلاهم تصديقًا الصديق لشدة صدقه.

جاء في (المنتقى من منهاج السنة) للذهبي (ص٤٧٠) أن أبا بكر بن عبد العزيز غلام الخلال سئل عن هذه الآية؟ فقال: (نزلت في أبي بكر، فقال السائل: بل في علي، فقال أبو بكر: اقرأ ما بعدها، فقرأ إلى قوله: ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ [الزمر:٣٥] فقال: علي عندكم معصوم لا سيئة له فما الذي يكفر عنه؟! فبهت السائل.

**الآية الثانية:** آية قتال المرتدين: وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

وهذا ملخص قول الإمام الرازي في الآية: إن هذه الآية يجب أن يقال: إنها نزلت في حق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والدليل على ذلك: أن هذه الآية مختصة بمحاربة المرتدين، وأبو بكر هو الذي تولى محاربة المرتدين، ولا يمكن أن يكون المراد هو الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين... ولا يمكن أن يكون المراد هو علي؛ لأن عليًا لم يتفق له قتال أهل الردة.فإن قالوا: بل قتاله مع أهل الردة؛ لأن كل من نازعه في الإمامة كان مرتدًا؟

قلنا: هذا باطل من وجهين:

**الأول-** أن اسم المرتد إنما يتناول من كان تاركًا للشرائع الإسلامية، والقوم الذين نازعوا عليًا ما كانوا كذلك في الظاهر، وما كان أحد يقول: إنه إنما حاربهم لأجل أنهم خرجوا عن الإسلام، وعلي لم يسمهم ألبتة بالمرتدين.

**الثاني-** أنه لو كان كذلك لوجب -بحكم ظاهر الآية- أن يأتي الله بقوم يقهرونهم ويردونهم إلى الدين الصحيح، ولما لم يوجد ذلك ألبتة؛ علمنا أن منازعة علي في الإمامة لا تكون ردة، وإذا لم تكن منازعته ردة لم يمكن حمل الآية على علي؛ لأنها نزلت فيمن يحارب المرتدين.

وكلمة (من) -في معرض الشرط- للعموم، فقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ** ﴾ [المائدة:٥٤] الآية، يدل على أن كل من صار مرتدًا عن دين الإسلام، فإن الله يأتي بقوم يقهرونهم ويبطلون شوكتهم. فلو كان الذين نصبوا أبا بكر كذلك لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم ويبطلون شوكتهم، ولم يكن الأمر كذلك، بل كان بالضد، إذ قهر الله خصومهم وقمع بهم المرتدين.

**الآية الثالثة:** آية العفو والصفح: ﴿ **وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ** ﴾ [النور:٢٢].

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرحيم الودود:

أجمع المفسرون على أن المراد من قوله: ﴿ **أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ** ﴾ أبو بكر، وهذه الآية تدل على أنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ كان أفضل الناس بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لأن الفضل المذكور في هذه الآية إما في الدنيا وإما في الدين، والأول باطل لأنه تعالى ذكره في معرض المدح له، والمدح من الله تعالى بالدنيا غير جائز، ولأنه لو كان كذلك لكان قوله: ﴿ **وَٱلسَّعَةِ** ﴾ تكريرا فتعين أن يكون المراد منه الفضل في الدين، فلو كان غيره مساويا له في الدرجات في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لأن المساوي لا يكون فاضلا، فلما أثبت الله تعالى له الفضل مطلقا غير مقيد بشخص دون شخص وجب أن يكون أفضل الخلق ترك العمل به في

حق الرسول صلى الله عليه وسلم فيبقى معمولا به في حق الغير، فإن قيل نمنع إجماع المفسرين على اختصاص هذه الآية بأبي بكر، قلنا كل من طالع كتب التفسير والأحاديث علم أن اختصاص هذه الآية بأبي بكر بالغ إلى حد التواتر، فلو جاز منعه لجاز منع كل متواتر.

وأيضًا فهذه الآية دالة على أن المراد منها أفضل الناس، وأجمعت الأمة على أن الأفضل إما أبو بكر أو علي، فإذا بينا أنه ليس المراد عليا تعينت الآية لأبي بكر، وإنما قلنا إنه ليس المراد منه عليًّا لوجهين:

**الأول-** أن ما قبل هذه الآية وما بعدها يتعلق بابنة أبي بكر فيكون حديث علي في البين سمجا.

**الثاني-** أنه تعالى وصفه بأنه من أولي السعة، وإن عليا لم يكن من أولي السعة في الدنيا في ذلك الوقت، فثبت أن المراد منه أبو بكر قطعا. واعلم أن الله تعالى وصف أبا بكر في هذه الآية بصفات عجيبة دالة على علو شأنه في الدين:

**أحدها:** أنه سبحانه كنى عنه بلفظ الجمع والواحد إذا كني عنه بلفظ الجمع دل على علو شأنه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر:٩] ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر:١] فانظر إلى الشخص الذي كناه الله سبحانه مع جلاله بصيغة الجمع كيف يكون علو شأنه.

**وثانيها:** وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الإفضال، وذلك يدل على أنه رضي الله عنه كما كان فاضلًا على الإطلاق كان مفضلًا على الإطلاق.

**وثالثها:** أن الإفضال إفادة ما ينبغي لا لعوض، فمن يهب السكين لمن يقتل نفسه لا يسمى مفضلًا لأنه أعطى ما لا ينبغي، ومن أعطى ليستفيد منه عوضًا إما ماليًّا أو مدحًا

أو ثناءً فهو مستفيد، والله تعالى قد وصفه بذلك فقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:١٧-٢٠] وقال في حق علي: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:٩-١٠] فعلي أعطى للخوف من العقاب، وأبو بكر ما أعطى إلا لوجه ربه الأعلى، فدرجة أبي بكر أعلى فكانت عطيته في الإفضال أتم وأكمل.

**ورابعها**: أنه قال: ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ فكلمة «من» للتمييز، فكأنه سبحانه ميزه عن كل المؤمنين بصفة كونه أولي الفضل، والصفة التي بها يقع الامتياز يستحيل حصولها في الغير، وإلا لما كانت مميزة له بعينه، فدل ذلك على أن هذه الصفة خاصة فيه لا في غيره البتة.

**وخامسها**: أمكن حمل الفضل على طاعة الله تعالى وخدمته وقوله: ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ على الإحسان إلى المسلمين، فكأنه كان مستجمعا للتعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله وهما من أعلى مراتب الصديقين، وكل من كان كذلك كان الله معه لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، ولأجل اتصافه بهاتين الصفتين قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

**وسادسها**: إنما يكون الإنسان موصوفًا بالسعة لو كان جوادا بذولا، ولقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**خير الناس من ينفع الناس**» فدل على أنه خير الناس من هذه الجهة، ولقد كان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جوادا بذولا في كل شيء، ومن جوده أنه لما أسلم بكرة اليوم جاء بعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن مظعون إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن أسلموا على يده، وكان جوده في التعليم والإرشاد إلى الدين والبذل بالدنيا كما هو مشهور، فيحق له أن يوصف بأنه من أهل السعة، وأيضًا فهب أن الناس اختلفوا في أنه هل كان إسلامه قبل إسلام علي أو بعده، ولكن اتفقوا على أن عليا حين

أسلم لم يشتغل بدعوة الناس إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم وأن أبا بكر اشتغل بالدعوة فكان أبو بكر أول الناس اشتغالًا بالدعوة إلى دين محمد، ولا شك أن أجل المراتب في الدين هذه المرتبة فوجب أن يكون أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر من هذه الجهة ولأنه عليه السلام قال: «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**» فوجب أن يكون لأبي بكر مثل أجر كل من يدعو إلى الله، فيدل على الأفضلية من هذه الجهة أيضًا.

**وسابعها**: أن الظلم من ذوي القربى أشد، قال الشاعر:

**وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند**

وأيضًا فالإنسان إذا أحسن إلى غيره فإذا قابله ذلك الغير بالإساءة كان ذلك أشد عليه مما إذا صدرت الإساءة من الأجنبي، والجهتان كانتا مجتمعتين في حق مسطح ثم إنه آذى أبا بكر بهذا النوع من الإيذاء الذي هو أعظم أنواع الإيذاء، فانظر أين مبلغ ذلك الضرر في قلب أبي بكر، ثم إنه سبحانه أمره بأن لا يقطع عنه بره وأن يرجع معه إلى ما كان عليه من الإحسان، وذلك من أعظم أنواع المجاهدات، ولا شك أن هذا أصعب من مقاتلة الكفار لأن هذا مجاهدة مع النفس وذلك مجاهدة مع الكافر ومجاهدة النفس أشق، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**» قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة (كشف الخفاء للعجلوني) وقال السيوطي لا أعرفه مرفوعا.

**وثامنها**: أن الله تعالى لما أمر أبا بكر بذلك لقبه بأولي الفضل وأولي السعة كأنه سبحانه يقول: أنت أفضل من أن تقابل إساءته بشيء وأنت أوسع قلبا من أن تقيم للدنيا وزنا، فلا يليق بفضلك وسعة قلبك أن تقطع برك عنه بسبب ما صدر منه من الإساءة، ومعلوم أن مثل هذا الخطاب يدل على نهاية الفضل والعلو في الدين.

**وتاسعها**: أن الألف واللام يفيدان العموم فالألف واللام في الفضل والسعة يدلان على أن كل الفضل وكل السعة لأبي بكر كما يقال: فلان هو العالم يعني قد بلغ في الفضل إلى أن صار كأنه كل العالم وما عداه كالعدم، وهذا أيضًا منقبة عظيمة.

**وعاشرها**: قوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ وفيه وجوه:

**منها**: أن العفو قرينة التقوى وكل من كان أقوى في العفو كان أقوى في التقوى، ومن كان كذلك كان أفضل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

**ومنها**: أن العفو والتقوى متلازمان فلهذا السبب اجتمعا فيه، أما التقوى فلقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل:١٧] وأما العفو فلقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾.

**وحادي عشرها**: أنه سبحانه قال لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة:١٣] وقال في حق أبي بكر ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ فمن هذا الوجه يدل على أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع الأخلاق حتى في العفو والصفح.

**وثاني عشرها**: قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فإنه سبحانه ذكره بكناية الجمع على سبيل التعظيم، وأيضًا فإنه سبحانه علق غفرانه له على إقدامه على العفو والصفح فلما حصل الشرط منه وجب ترتيب الجزاء عليه، ثم قوله: ﴿يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ بصيغة المستقبل وأنه غير مقيد بشيء دون شيء فدلت الآية على أنه سبحانه قد غفر له في مستقبل عمره على الإطلاق فكان من هذا الوجه ثاني اثنين للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] ودليلا على صحة إمامته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإن إمامته لو كانت على خلاف الحق لما كان مغفورا له على الإطلاق ودليلا على صحة ما ذكره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خبر بشارة العشرة بأن أبا بكر في الجنة.

**وثالث عشرها**: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما قال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وصف نفسه بكونه غفورًا رحيمًا، والغفور مبالغة في الغفران فعظم أبا بكر حيث خاطبه بلفظ

الجمع الدال على التعظيم، وعظم نفسه سبحانه حيث وصفه بمبالغة الغفران، والعظيم إذا عظم نفسه ثم عظم مخاطبه فالعظمة الصادرة منه لأجله لا بد وأن تكون في غاية التعظيم، ولهذا قلنا بأنه سبحانه لما قال: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١] وجب أن تكون العطية عظيمة، فدلت الآية على أن أبا بكر ثاني اثنين للرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المنقبة أيضًا.

**ورابع عشرها**: أنه سبحانه لما وصفه بأنه أولو الفضل والسعة على سبيل المدح وجب أن يقال إنه كان خاليا عن المعصية، لأن الممدوح إلى هذا الحد لا يجوز أن يكون من أهل النار، ولو كان عاصيا لكان كذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [النساء:١٤] وإذا ثبت أنه كان خاليا عن المعاصي فقوله: ﴿يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ لا يجوز أن يكون المراد غفران معصية لأن المعصية التي لا تكون لا يمكن غفرانها وإذا ثبت أنه لا يمكن حمل الآية على ذلك وجب حملها على وجه آخر، فكأنه سبحانه قال -والله أعلم- ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ لأجل تعظيمكم هؤلاء القذفة العصاة، فيرجع حاصل الآية إلى أنه سبحانه قال يا أبا بكر إن قبلت هؤلاء العصاة فأنا أيضًا أقبلهم وإن رددتهم، فأنا أيضًا أردهم فكأنه سبحانه أعطاه مرتبة الشفاعة في الدنيا، فهذا ما حضرنا في هذه الآية والله أعلم.

**الآية الرابعة**: آية الغضب لله تعالى: قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١].

قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بيت المدراس، فوجد من يهود أناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص وكان من علمائهم

وأحبارهم، ومعه حبر يقال له: أشيع. فقال أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله - يا أبا بكر - ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير. ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطناه ولو كان غنيًّا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فاكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أبصر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر: «**ما حملك على ما صنعت؟**» فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قولًا عظيمًا، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ**﴾ [آل عمران:١٨١] الآية. رواه ابن أبي حاتم.

**الآية الخامسة:** آية النصرة وهي آية الغار: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة:٤٠].

وهذه الآية سيأتي الكلام عليها مفصلًا في الفصل الخامس. لكن سأذكر هنا مما قيل في مناقب الصديق الواردة في الآية على سبيل العموم -أي سوى تلك المقامات- ومن أفضل من تكلم في معاني الآية صاحب تفسير المنار حيث يقول (باختصار): قد دلت هذه الآية الكريمة وما يفسرها ويشرحها من الأحاديث الصحيحة وما في معناها من الأخبار والآثار مما دونها في الرواية على مناقب وفضائل لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه،

امتاز بها على جميع أصحاب رسول الله نذكر منها ما يتبادر إلى الفهم بغير تكلف لبداهته، ومن غير مراعاة ترتيب.

**الأول-** أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمن على سره وعلى نفسه في هذه الحادثة التي كانت أهم حوادث رسالته، وأشدها خطرا وخيرها عاقبة غير صاحبه الأول أبي بكر الصديق. وإن شئت قلت: إنه لم يختر لصحبته وإيناسه فيها غيره. ويؤيده ما رواه ابن عدي وابن عساكر من طريق الزهري عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لحسان: «**هل قلت في أبي بكر شيئا؟**» قال: نعم. قال: «**قل وأنا أسمع**» فقال:

**وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعد الجبلا**

**وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا**

فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثم قال: «**صدقت يا حسان هو كما قلت**».

**الثانية-** أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رضي أن تكون نفقة هذه الراحلة من مال أبي بكر الذي أنفق جميع ماله في خدمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أنه أحب أن تكون الراحلة التي ركبها بالثمن يدفعه بعد ذلك. وتقدم ما قاله بعض العلماء في تعليل ذلك، وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب غضب من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في محاورة بينهما، فطلب منه أبو بكر أن يغفر له فأبى، فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له. فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثًا، قال الراوي وهو أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا -فأتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلم عليه، فجعل وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم -مرتين- فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**» مرتين فما أوذي أبو بكر بعدها. وقد صرح أيضًا بأن أمن الناس عليه في ماله ونفسه أبو بكر[1].

(١) رواه الشيخان وغيرهما.

**الثالثة-** أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يختر في ذلك وأمثاله إلا ما اختاره الله تعالى له، فهذا تفضيل من الله عَزَّ وَجَلَّ للصديق على غيره من أصحاب نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**الرابعة-** ذكره عَزَّ وَجَلَّ في كتابه العزيز بهذا الثناء العظيم الذي لم يشاركه فيه أحد من المؤمنين في مقام إطلاق الإنكار عليهم والتوبيخ لهم على تثاقلهم عن إجابة استنفار رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياهم بأمره. أخرج خيثمة بن سليمان الأطرابلسي في فضائل الصحابة وابن عساكر من طريق الزهري عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] وأخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة، قال: عاتب الله المسلمين جميعا في نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده فإنه خرج من المعاتبة. ثم قرأ: إلا تنصروه فقد نصره الله الآية. ذكرهما السيوطي في الدر المنثور -فهذا ما دل عليه أسلوب الآية، والسياق من تفضيله على جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بغير استثناء.

وأخرج ابن المنذر عن الشعبي قال: والذي لا رب غيره لقد عوتب أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نصرته إلا أبا بكر، فقد قال تعالى: إلا تنصروه الآية. خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المعتبة.

**الخامسة-** قوله تعالى في رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: ثاني اثنين فهذا القول من رب العالمين في خطاب جمع المؤمنين في هذا المقام، والسياق فيه دلالة واضحة على فضل هذين الاثنين، وكون الصديق هو الثاني في المرتبة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما يقتضيه المقام للهجرة الشريفة من الفضائل والمزايا وأخص من هذا كله أنه كان ثانيه في الشروع في إقامة الشرع في دار الهجرة فلم ير الأنصار معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدا قبله.

**السادسة-** وهي تؤيد ما تضمنه معنى الاثنينية من رفعة المقام – قوله صلى الله عليه وسلم له: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» وإنهما لمنقبة تتضاءل دونها المناقب، ومرتبة تنحدر عن عليا سمائها المراتب، أكبر أعلم رسل الله بالله أمرها، وهو أعلم بقدرها، فإن قوله صلى الله عليه وسلم: «**ما ظنك يا أبا بكر**» بكذا يراد به أنه لا يمكن أن تحوم الظنون أو تنتهي الآراء والأفكار إلى شأن أعلى من شأنها، ومنعة أعز من منعتها إلخ.

**السابعة-** حكاية رب العزة والجلال لقول رسوله الذي ختم به النبيين، وأرسله رحمة للعالمين، لهذا الصاحب الصديق المكين: لا تحزن إن الله معنا فهي دليل على أنه قال له ذلك بإذنه تعالى ووحيه، لا من حسن ظنه صلى الله عليه وسلم بربه واجتهاد رأيه، على أنه لو كان اجتهادا أقره ربه عليه وحكاه عنه، وجعله مما يتعبد به المؤمنون ما دامت السماوات والأرض، لكانت قيمته في غايته، بمعنى ما كان عن الوحي منذ بدايته، وهذا يؤيد كون ما ذكرناه في تفسير المعية من كونها معية خاصة من نوع المعية التي أيد الله بها موسى وهارون عليهما السلام، إلا أنها أعلى في ذاتها وشخصها من كل أفراد هذا النوع، فالمعية الإلهية معنى إضافي، ويختلف باختلاف موضوعه ومتعلقه، فمعية العلم عامة كقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [المجادلة:٧] وهي لا تشريف فيها لأهلها بل هي تهديد لهم، وإنذار بأن الله مطلع على كل ما يصدر عنهم، وأنه سيحاسبهم عليه ويجزيهم به،: وأعلى منها معيته تعالى للمتقين والمحسنين، وهي تتضمن معنى التوفيق واللطف كما تقدم، ففيها شرف عظيم، وأعلى منها معيته عز وجل للأنبياء والمرسلين، في مقام التأييد على الأعداء المناوئين، وهي أعلى الأنواع كما علمت، ولم يثبت لأحد من غيرهم حظ منها إلا ما ثبت للصديق هنا.

**الثامنة-** قلت: وهي من أعظم ما يستنبط من الآية الكريمة -فجزى الله رشيد رضا خيرًا ورحمه- حيث يقول: إن القرآن العظيم كلام الله تعالى، وهو أكمل كتاب أنزله الله تعالى على خاتم رسله لهداية البشر كافة، فهو يمدح الإيمان والأعمال الصالحة والصفات الحميدة وأهلها، ويذم الكفر والشرك والأعمال السيئة، والصفات القبيحة وأهلها، ولا ترى فيه مدحا لشخص معين من هذه الأمة غير رسولها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا لصاحبه الأكبر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا ذما لشخص معين من الكفار غير أبي لهب وامرأته. فاختصاص أبي بكر بالمدح من رب العالمين في هذه الآية منقبة لا يشاركه فيها أحد من هذه الأمة، تدل على فضله على كل فرد من أفرادها. وهذا المعنى -أي الاختصاص- غير موضوع المدح المتقدم تفصيله فهو يجعل قيمته مضاعفة، إذ لو كان في التنزيل مدح لغيره كالأحاديث الشريفة الواردة في فضائله وفضائل آخرين من أهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لما كانت هذه منقبة خاصة بالصديق، وإن كان المدح المفروض لغيره دون مدحه في موضوعه، كما هو شأن أحاديث المناقب، فكيف وقد جاء هذا المدح في سياق توبيخ المؤمنين على التثاقل في إجابة الرسول إلى ما استنفرهم له كما تقدم شرحه والآثار فيه؟

ولا يرد على هذه الخصوصية أن قصة الأعمى تتضمن ثناء عليه بالخشية، وهو شخص معين معروف أنه عبد الله بن أم مكتوم المؤذن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن السياق فيها ليس سياق مدح. وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ [عبس:٩] لا يدل على أن هذه الخشية خاصة به، ولا أنه ممتاز فيها على غيره، على أن فيها من إثبات الفضل له ما لا يخفى، ولا يرد أيضًا على ذم أبي لهب ما ورد في سورة المدثر في الوليد بن المغيرة وفي سورة العلق، في أبي جهل؛ فإن الذم فيها متعلق بالوصف لا بالشخص، مع كون الموصوف قد عرف من سبب النزول لا من النص. وهو غير متواتر كتواتر وصف الصاحب للصديق ودونه وصف الأعمى لابن أم مكتوم، على أن لا يضرنا عدم الحصر هنا، وهو غير مقصود في بحثنا.

**الآية السادسة:** آية الصدقة وعتق الرقاب: قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل:١٧-١٩].

قال ابن كثير رحمه الله الرحيم الودود: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود -وهو سيد ثقيف، يوم صلح الحديبية-: أما والله لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة: يا عبد الله، هذا خير**»، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**».

وسنذكر هذه الآية عند الحديث على مقام الصديق في التقوى.

**الآية السابعة:** آية الإخلاص: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾:

هذه الآية تابعة للآيات السابقة في سبب نزولها وفي كونها في حق أبي بكر رضي الله عنه ولكن أفردتها لاحتوائها على خصلة عظيمة ألا وهي الإخلاص لله تعالى وستقرأ -أخي الكريم- من كلام المفسرين ما تقر به عينك.

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرحيم الودود: ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الإمامة، فقال: الآية الواردة في حق علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩]، والآية الواردة في حق أبي بكر: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:٢٠-٢١] فدلت الآيتان على أن كل واحد منهما إنما فعل ما فعل لوجه الله إلا أن آية علي تدل على أنه فعل ما فعل لوجه الله، وللخوف من يوم القيامة على ما قال: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ وأما آية أبي بكر فإنها دلت على أنه فعل ما فعل لمحض وجه الله من غير أن يشوبه طمع فيما يرجع إلى رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب، فكان مقام أبي بكر أعلى وأجل.

قال في مجمع البيان: «إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى» أي و لكنه أبو بكر الصديق -فعل ما فعل يبتغي به وجه الله و رضاه و ثوابه و إنما ذكر الوجه طلبا لشرف الذكر و المعنى إلا الله و لابتغاء ثواب الله «ولسوف يرضى» أي و لسوف يعطيه الله من الجزاء و الثواب ما يرضى به فإنه يعطيه كل ما تمنى و لم يخطر بباله فيرضى به لا محالة.

قال ابن عادل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرحيم الودود: ومعنى الآية: سوف يعطيه الله تعالى في الجنَّة ما يرضى، بأن يعطيه أضعاف ما أنفق.

قال ابن الخطيب: وعندي فيه وجه آخر، وهو أن المراد أنه إنما طلب رضوان الله تعالى، وليس يرضى الله عنه، قال: وهذا أعظم من الأول؛ لأن رضا الله أكمل للعبد من رضاه عن ربِّه، والله أعلم.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرحيم الودود: إنه لا نعمى عليه -يعني أبا بكر- لأحد في ذلك إلا الله، وعبر بالوجه إشارة إلى أن قصده أعلى القصود فلا نظر له إلا إلى ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الذات، وبالنظر إليه تحصل الحياة والرغبة والرهبة، لا إلى طلب شيء من دنيا ولا آخرة.

ولما كان هذا مقامًا ليس فوقه مقام، قال تعالى بعد وعده من الإنجاء من النار: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي بإعطاء الجنة العليا والمزيد بوعد لا خلف فيه بعد المذلة في الحياة الطيبة - بما أشارت إليه أداة التنفيس ولا بدع أن يكون هذا الوعد على هذا الوجه الأعلى لأن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين اشترى بلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جماعة من الضعفاء المسلمين يؤذيهم المشركون فأعتقهم، فبين تعالى أنه مطبوع على تزكية نفسه فهو المفلح كما ذكر في سورة الشمس، وأنه مخلص لإعطائه الضعفاء من الأيتام والمساكين وإعتاقه الضعفاء في كل حال كما ذكر في سورة البلد.

ومن أبدع الأشياء تعقيبها بالضحى التي هي في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيها ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى:٥] إشارة إلى أنه أقرب أمته إلى مقامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه الأتقى بعد النبيين مطلقًا، وإلى أن خلافته حق لا مرية فيه لأنه مما وعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يرضيه وأنه لا يرضيه غيره كما أنه أرضاه خلافته له في الصلاة ولم يرضه غيره حين نهى عن ذلك بل زجر لما سمع قراءة غيره وقال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

# $ +

## ŋæÑŴDžkŁ ƤæYǨ ƒ ä Ł ǰ ǭ YƷƿ Ǩǭ

## Āæ yďžǩŁ Ƹ Ğ ƛ ÆƛǬ ǨhƙNJə Æə رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

إن الأحاديث التي وردت في فضائل الصديق وبيان علو منزلته عند الله وعند سيدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة قد تزيد على الخمسين حديثًا انتقيت منها ما يأتي:

١- عن عمرو بن العاص قال: قلتُ يا رسول الله أيّ النّاس أحبّ إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: إنّما أعني من الرّجال، قال: «**أبوها**»[(١)].

٢- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِي وَزِيْرَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْسَّمَاءِ، وَوَزِيْرَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيْرَايَ مِنْ أَهْلِ الْسَّمَاءِ فَجِبْرِيْلُ وَمِيْكَائِيْلُ صَلَّى الله عَلَيْهِمَا وَسَلَّمْ وَأَمَّا وَزِيْرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَر**»[(٢)].

٣- عن أَبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**»، فبكى أَبو بكر وقال: وهل أَنا ومالي إِلا لَكَ يا رسول الله؟ وعن عائشة قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِيُصَلِّ أَبُو بَكْرٍ بِالْنَّاسِ**»، قَالُوا: لَوْ أَمَرْتَ غَيْرَهُ؟ قَالَ: «**لاَ يَنْبَغِي لأُمَّتِي أَنْ يَؤُمَّهُمْ إِمَامٌ وَفِيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ**»[(٣)].

٤- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أمن الناس عليَّ في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته لا تبقين في المسجد باب سدَّ إلا باب أبي بكر**»[(٤)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) أخرجه البخاري

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»(١).

٦- ولما ثَقُلَ المرض على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بِلال يُؤذِنُه بالصلاة فقال: «**مرُوا أبا بكر فليصلّ بالنّاس**»، فلمّا دخل أبو بكر في الصّلاة وَجَدَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من نفسه خِفّةً فقام يُهادَى بين رَجُلَين، ورِجْلاه تَخُطّان في الأرض حتى دخل المسجد، فلمّا سمع أبو بكر حسّه ذهب يتأخّر، فأوْمَأ إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُمْ كما أنْتَ**»، فجاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يصلّي بالنّاس جالسًا وأبو بكر قائمًا يقتدي بصلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنّاس يقتدون بصلاة أبي بكر(٢).

٧- عن أنس عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال قلت: للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في الغار، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا قال: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(٣).

٨- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه، فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث قال الناس: سبحان الله**». قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر**» أخرجاه وفي رواية لهما: «**وما ثم أبو بكر وعمر**» أي لم يكونا في المجلس، فشهد لهما بالإيمان بذلك لعلمه بكمال إيمانهما.

٩- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر**»(٤).

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٤) رواه الترمذي وحسنه.

١٠- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما لأحد عندنا يدٌ إلا وكافأناه، إلا أبو بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط، ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبابكر خليلًا، ألا وإن صاحبكم خليل الله**»(١).

١١- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**»(٢).

١٢- عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يومًا. قال فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: والله لا أسبقه بشيءٍ أبدًا(٣).

١٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي -وهو عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ثُمَّ عُمَرُ»(٤).

١٤- عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٥).

واتفق أهل السنة والجماعة على أن خير هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.
(٢) رواه الترمذي وحسنه.
(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.
(٤) رواه البخاري (٣٦٧١).
(٥) ورواه الإمام أحمد (٨٣٥). وقال محققو المسند «إسناده حسن».

«وَيُقِرُّونَ -يعني أهل السنة- بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ: خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانِ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ»[1]. انتهى.

(١) العقيدة الواسطية» (ص١١٧).

# % +

## :Ákǩūơ ǴkǸā Ǽə Āǽyʤžǩł ϴǩǭǩǢǭ

﴿ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ﴾

هذا الفصل هو لب الكتاب ومقصده ومغزاه بل هو السبب في تأليفه من أوله إلى آخره ومن هنا سأُفصِّل القول في تلك المقامات من خلال هذه الآية -بإذن الله تعالى- ولقد وجدت كلامًا لابن القيم يشير فيه إلى أن الآية ليست قاصرة على مدح أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حال كونه في الغار بل الأمر أوسع من ذلك حيث يقول -في الفوائد- (كانت تحفة (ثاني اثنين) مدخرة للصديق، دون الجميع فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، وفي سبب الموت، لأن الرسول مات عن أثر السم، وأبو بكر سم فمات).

وممن أشار إلى تلك المقامات الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة حيث يقول:

(والعلماء أثبتوا أنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان ثاني رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أكثر المناصب الدينية، فإنه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرسل إلى الخلق، وعرض الإسلام على أبي بكر آمن أبو بكر، ثم ذهب وعرض الإسلام على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والكل آمنوا على يديه، ثم إنه جاء بهم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أيام قلائل فكان هو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثاني اثنين في الدعوة إلى الله، وأيضًا كلما وقف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة كان أبو بكر يقف في خدمته ولا يفارقه فكان ثاني اثنين في مجلسه، ولما مرض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام مقامه في إمامة الناس في الصلاة فكان ثاني اثنين، ولما توفي دفن بجنبه فكان ثاني اثنين هناك أيضًا) اهـ.

نص الآية الكريمة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

:ŋǮǽƸ Ğ ǩł ŋǽǿł ŭǭ ƟƦǞāƿ

مفهوم (ثاني اثنين) أي ثانيًا من اثنين.. تقول العرب: ثاني اثنين أي أحد اثنين وهو كثالث ثلاثة ورابع أربعة..، فإذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلاثة وخامس أربعة، فالمعنى صير الثلاثة أربعة بنفسه والأربعة خمسة.. والاثنان هما: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر بتواتر الخبر، وإجماع المسلمين كلهم.

ولكون الثاني معلومًا للسامعين كلهم لم يحتج إلى ذكره، وأيضًا لأن المقصود تعظيم هذا النصر مع قلة العدد، فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نصره قد حصل في الماضي، وأن الله ينصره في المستقبل كما نصره حين كان ثاني اثنين لا جيش معه، فالذي نصره حين كان ثاني اثنين قدير على نصره وهو في جيش عظيم (انتهى ملخصًا من كتب التفسير).

ما ترمي إليه الآية الكريمة بصورة مجملة: يقول العلماء: سياق هذه الآيات من سورة التوبة -من أوّلها- في بيان أنّ محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منصورٌ لامحالة، فحتّى لو ترك الناس كلّهم نصره، فإنّ الله تعالى ينصر رسوله ويؤيده بالجنود، فلهذا اقتصر الضمير عليه. وها هنا عدة أمور تؤخذ من الآية الكريمة:

**الأول-** هذه الآية ذُكِر فيها الصديق في عدة مواضع: ثاني اثنين - إذ هما في الغار - يقول لصاحبه - لا تحزن - إن الله معنا - وقد ذكره الله تعالى خمس مرات في سياق قصير، وهذا من أعظم التنويه بفضله.

فذكره مرة في بيان أنّه كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكن سواه معه في قوله: «ثاني اثنين»، أي كانا اثنين لم يكن معهما ثالث، وهذا أقل ما يكون من العدد بعد الواحد، ومع ذلك نصره الله تعالى، وفي ذلك بيان واضح على أنّه لو لم يكن معه سوى واحد من الناس ينصره، فسيكون الصديق وحده، ولهذا أقامه الله تعالى بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في أعظم مقام فوقف وحده ناصرًا للرسالة حتى جمع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حرب المرتدين، ثم أطفأ أعظم فتنة حدثت في الإسلام بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**والثاني-** في بيان أنّه كان معه في الغـار حيث الشدّة، والخوف، والموقف العصيب، لبيان منزلة الصديق، وأنّ الله اختاره دون سواه لذلك المكان في ذلك الحدث التاريخي دون غيره.

**والثالث-** أنه سماه: صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال (لصاحبه) ولم يقال صاحب الغار كما بيّنا.

**والرابع-** أن الله تعالى جعل الذي يطمئن الصديق هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه في قوله (لاتحزن).

**الخامس-** ذكره أن الله تعالى معهما أي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصديق بالنصرة والتأييد.

قد فهم الصحابة حكمة اختيار الله تعالى الصديق لصحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الموقف، وأنّ ذلك أوضح دليـل على أن الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أعظم أتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه الذي سيحفظ الدين من بعده، وهذا ما وقع حقا وصدقا، وقد أجمعت الصحابة على فضل الصدّيق على من سواه، وأحقيّته بالخلافـة واختاره الله تعالى لخلافة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أختاره لصحبته في الغار،ونوّه بذكره مع خيرته من خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

نوّه بذكره في القرآن دون بقية الخلق أجمعين، ورفع شأنه بوحي يتلى إلى يوم القيامة، ورفع الله قدره ومقامه،إلى أسنى مقام بعد النبيين في العالمين، قد أعلى الله منزلته وإن كرهت الرافضة الحاقدة على دين المسلمين، وحقدهم سيرتد عليهم وسيبوؤون بالخسران المبين، كعادتهم في كل زمان وحين، جعل الله عاقبة أمرهم الخزي والهوان، وجعل العز والنصر والتمكين، لأهل السنة أنصار الدين والله أعلى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتاب الفوائد: (فلما وقف القوم على رؤوسهم، وصار كلامهم بسمع الرسول، والصديق، قال الصديق وقد اشتد به القلق: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه،فقال رسول الله: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لما رأى الرسول حزنه قد اشتد، قوّي قلبه ببشارة ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فظهر سر هذا الاقتران في المعية لفظا كما ظهر حكما ومعنى، اذْ يقال رسول الله وصاحب رسول الله.

فلما مات، قيل: خليفة رسول الله، ثم انقطعت إضافة الخلافة بموته فقيل أمير المؤمنين فأقاما في الغار ثلاثا، ثم خرجا منه، ولسان القدر يقول لتدخلنّها دخولا لم يدخله أحد قبلك، ولا ينبغي لأحد من بعدك.

فلما استقلا على البيداء، لحقهما سراقة بن مالك، فلما شارف الظفر أرسل عليه الرسول سهما من سهام الدعاء، فساخت قوائم فرسه في الأرض إلى بطنها، فلما علم انه لا سبيل له عليهما، أخذ يعرض المال على من قد رد مفاتيح الكنوز، ويقدم الزاد الى شبعان (أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني).

والآن نشرع -مستعينين بالله- في ذكر مقامات الصديق التي تضمنتها الآية الكريمة ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾:

:ǯǨǮǽ âł ǫǨĀǭ Ǽə ǰǾǳþł ǼǄǨþ :ğƿ äł ǫǨĀǮǩł

أول من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل الأرض أربعة: أول من آمن به من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد بن حارثة.

وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنت جالسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أما صاحبكم فقد غامر فسلم**»، وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثًا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ قالوا: لا. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثى على ركبتيه فقال يا رسول الله: والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين. فما أوذي بعدها**»[(١)].

قال العلماء: فهذا يبين فيه أنه لم يكذبه قط، وأنه صدقه حين كذبه الناس طرًا، وهذا ظاهر في أنه صدقه قبل أن يصدقه أحد من الناس الذين بلغهم الرسالة.

والناس متنازعون في أول من أسلم فقيل: أبو بكر أول من أسلم، فهو أسبق إسلامًا من علي، وقيل: إن عليًا أسلم قبله، لكن علي كان صغيرًا، وإسلام الصبي فيه نزاع بين العلماء.

ولا نزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع؛ فيكون هو أكمل سبقًا بالاتفاق، وأسبق على الإطلاق على القول الآخر.

---

(١) رواه البخاري.

وقال الشيخ -ابن تيمية- في موضع آخر: وأما خديجة وعلي وزيد فهؤلاء كانوا من عيال النبي صلى الله عليه وسلم وفي بيته. وخديجة عرض عليها أمره لما فاجأه الوحي وصدقته ابتداء قبل أن يؤمر بالتبليغ، وذلك قبل أن يجب الإيمان به، فإنه إنما يجب إذا بلغ الرسالة.

وعلي يمكن أنه آمن به لما سمعه يخبر خديجة وإن كان على لم يبلغه. وقوله في حديث عمرو بن عبسة: «قلت يا رسول الله: من معك على هذا الأمر؟ قال: حر وعبد، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به»(١).

:ηǄ ʅ ǩł ğǸƱY Æə ǰ ǾǄþł ÆǄĶþ :ÆǄĶŖǩł ǫĶǢƷǩł

فهو أول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، روى أبو داود في سننه «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»(٢) وأهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة، وكذلك أمهات المؤمنين عائشة وغيرها، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء. [منهاج جـ٤/ ٤٥].

وورد أنه يدعى من أبواب الجنة كلها، ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، [ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان] فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب كلها من

---

(١) صحيح مسلم ك٦، جـ٢٩٤. أي: اتبعه من المكلفين المدعوين (هذه النقول التي روى فيها الأحاديث وبين وجه الدلالة منها هي في المنهاج جـ٤/ ٢٥١، ٨، ٤٢، ٤٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ١٣٦، وجـ٣ منه ص٤ وانظر: البداية والنهاية لابن كثير جـ٣ ص٢٦. موافق لهذا).

(٢) أبو داود جـ(٤/ ٢٩٥).

ضرورة[١] فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم. وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر[٢].

ولم يذكر هذا لغير أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»[٣].

### *:Ǻǩǩūơ Ż ł Æə åŻ äł ǨǮȚơ Æə :ƤǩǨƦǩł ǫǩĀǮǩł*

فقد آذاه الكفار على إيمانه –والإسلام إذ ذاك ضعيف والأعداء كُثر، وهذا غاية الفضيلة والاختصاص في الصحبة– حتى خرج من مكة مهاجرًا إلى أرض الحبشة، روى البخاري في صحيحه عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرفي النهار بكرة وعشية) فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أما بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبنائنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره. ثم بدأ لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء

---

(١) أي من ضرر.

(٢) البخاري ك٦٢ ب ٥ مسلم رقم (٧١١) والحديث عن أبي هريرة.

(٣) منهاج جـ(٤/ ٤٤).

داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد تجاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد عليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عزوجل[1].

ولما هاجر رسول الله وأبو بكر جعلوا في كل واحد منهما ديته لمن قتله أو أسره[2].

وحثوا التراب على رأس أبي بكر، قال ابن إسحاق: حدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، قال: لقي أبا بكر سفيه من سفهاء قريش حين خرج من جوار ابن الدغنة وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابًا، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل، فقال له أبو بكر: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال: يا أبا بكر إنا قليل.

فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم، جالس

(١) الحديث أخرجه البخاري ك٦٣ ب٤٥.
(٢) منهاج السنة (ج٣/ ٦، جـ٢٨٨، ٢٦٨، ٣١).

فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا، ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه، وأثر ذلك حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم تتعادى فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه بيته ولا يشكون في موته، ورجع بني تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة و رجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلم آخر، النهار: ما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فنالوه بألسنتهم وعذلوه ثم قاموا وقالوا لأم الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه، فلما خلت به وألحت جعل يقول: ما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: والله ما أعلم بصاحبك.

قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتى جاءت إلى أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن تحبي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت: قالت: نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا فدنت منه أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق وإني لأرجو أن ينتقم الله لك قال: ما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: هذه أمك تسمع قال: فلا عين عليك منها قالت: سالم صالح.

قال فأنى هو؟ قالت في دار الأرقم قال: فإن لله علي آليت أن لا أذوق طعامًا ولا شرابًا أو آتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخلتا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فانكب عليه فقبله وانكب عليه المسلمون ورق له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقه شديدة فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي

ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي، هذه أمي برة بوالديها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله عَزَّوَجَلَّ لها عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلمت[١].

*:ǬǪüǩŀ Ǽə ǰ ǾǄþŀ ǼǄǨþ :ŭƛŀƐǩŀ ǫǨǼƷǩŀ*

كان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقضي ويفتي بحضرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقره، ولم تكن هذه المرتبة لغيره ففي الصحيح أن أبا بكر قال يوم حنين: «لا ها الله إذًا لا يعمد إلى أسد من أسود الله ورسوله يقاتل عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن رسوله فيعطيك سلبه. فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدق فأعطه إياه فأعطاه**»[٢].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كان أبو بكر أعلمنا بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ذكر غير واحد مثل منصور بن عبد الجبار السمعاني وغيره إجماع أهل العلم على أن الصديق أعلم الأمة. وهذا بين؛ فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو بعلم يبينه لهم وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة، وذلك لكمال علم الصديق.

قال شيخ الإسلام: ولم يحفظ له -يعني أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قول يخالف فيه نصًا، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم. وفي الجملة لا يعرف لأبي بكر مسألة من الشريعة غلط فيها، وقد عرف لغيره مسائل كثيرة كما بسط في موضعه[٣].

وتنازعت الصحابة بعده في مسائل مثل الجد والإخوة، ومثل العمريتين، ومثل العول وغير ذلك من مسائل الفرائض. وتنازعوا في مسألة الحرام، والطلاق الثلاث بكلمة واحدة، والخلية، والبرية، وألبتة، وغير ذلك من مسائل الطلاق. وكذلك تنازعوا

---

(١) الرياض النضرة (١: ٤٦)، تاريخ ابن كثير (٣: ٣٠).

(٢) أخرجه مسلم ك٣٢ ح(٤١).

(٣) (رفع الملام عن الأئمة والأعلام).

في مسائل صارت مسائل نزاع بين الأمة إلى اليوم. ثم الأقوال التي خولف فيها الصديق بعد موته قوله فيها أرجح من قول من خالفه بعد موته، وطرد ذلك الجد والإخوة... وجواز فسخ الحج إلى العمرة بالتمتع، وثبت عن ابن عباس أنه كان يفتي بكتاب الله، فإن لم يجد فبما في سنة رسول الله، فإن لم يجد أفتى بقول أبي بكر، وعمر مقدمًا لهما على قول غيرهما. وثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[١].

*:ЌÓQĀǩł Æә ǰ ÓĐƥł ÆĐЌþ : 5 ǭЌUǩł ǫЌĀǮǩł*

كان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقضي ويفتي بحضرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقره، ولم تكن هذه المرتبة لغيره ففي الصحيح أن أبا بكر قال يوم حنين: «لا ها الله إذًا لا يعمد إلى أسد من أسود الله ورسوله يقاتل عن الله عَزَّ وَجَلَّ وعن رسوله فيعطيك سلبه. فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدق فأعطه إياه فأعطاه**» الحديث[٢] وفيه «وجلس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه. قال فقلت من يشهد لي، ثم جلست، ثم قال مثل ذلك، قال فقمت فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، ثم قال ذلك الثالثة، فقمت، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما لك يا أبا قتادة؟ فقصصت عليه القصة. فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله سلب ذلك القتيل عندي فأرضه من حقه، وقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضيبع من قريش ويدع أسدًا من أسد الله» الحديث[٣].

قوله (لا ها الله: لا:للنفي،وها: للقسم فكأنه قل لا والله).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كان أبو بكر أعلمنا بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه مسلم. وانظر ما تقدم ذكره في كتاب المنهاج (جـ ٤/ ١٣٥- ١٣٧، ٢٩٦، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١. جـ٣/ ١١٣، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، جـ٢/ ٢٩٦) وانظر: مجموع الفتاوى (جـ٤/ ٤٠٠).

(٢) أخرجه مسلم ك٣٢ ح(٤١).

(٣) ورواه البخاري ك ٥٧ ب١٨.

وقد ذكر غير واحد مثل منصور بن عبد الجبار السمعاني وغيره إجماع أهل العلم على أن الصديق أعلم الأمة. وهذا بين؛ فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو بعلم يبينه لهم وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة، وذلك لكمال علم الصديق وعدله ومعرفته بالأدلة التي تزيل النزاع، وكان عامة الحجج التي تزيل النزاع يأتي بها الصديق ابتداء، وقليل من ذلك يقوله عمر أو غيره فيقره أبو بكر، وكان إذا أمرهم أطاعوه.

كما بين لهم موت النبي صلى الله عليه وسلم لما كشف عن وجهه الشريف: فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالتْ: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلاَّ ذاك، وليبعثنَّه الله، فليقطعَنَّ أيدي رجال وأرْجلهم، فجاء أبو بكر، فكشَفَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبَّله، قال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيًّا ومَيِّتًا، والذي نفسي بيده لا يُذيقك الله الموتَتَيْن أبدًا، ثم خرَج، فقال: أيها الحالف على رِسْلك، فلمَّا تكلَّم أبو بكر، جلَسَ عمر، فحَمِد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألاَ مَن كان يعبد محمدًا، فإنَّ محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، قال: فنَشَجَ الناس يبكون.

ثم بين لهم موضع دفنه: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله وغسل اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: ما نسيت ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**» ادفنوه في موضع فراشه[1].

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل وأبو يعلى وابن ماجه والنسائي.

وبين لهم ميراثه إن ما تركه صدقة وإنه لا يورث: فقد ورد عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ فَاطِمَةَ وَالْعَبَّاسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَيْهِمَا مِنْ فَدَكَ وَسَهْمَهُمَا مِنْ خَيْبَرَ فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللهِ لَا أَدَعُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُهُ فِيهِ إِلَّا صَنَعْتُهُ»(١).

وبين لهم قتال مانعي الزكاة لما استراب فيه عمر: عن أبي هريرة قال: «لمَّا توفِّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستُخْلِفَ أبو بكر بعدَه، وكفَر مَن كفَر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرتُ أن أقاتِلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمَن قال: لا إله إلا الله، عَصَم منِّي مالَه ونفسَه، إلاَّ بحقِّه وحسابه على الله**»، فقال: والله لأُقاتِلَنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عِقالًا كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتُهم على منْعه، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله قد شرَح صدْر أبي بكر للقتال، فعرَفْتُ أنه الحقُّ». فظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه، فإن اللفظ الذي قاله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إلا بحقها**» بين فقه أبي بكر، وهو صريح في القتال على أداء الزكاة وهو مطابق للقرآن قال تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾ [التوبة:٥](٢).

وبين لهم أن الخلافة في قريش: ففي مسند الإمام أحمد: «أن أبا بكر وعمر لما ذهبا إلى سقيفة بني ساعدة حين اجتمع الأنصار لاختيار خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تكلَّم أبو بكر ولم يترك شيئًا أنزل في الأنصار وذكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شأنهم إلا

(١) متفق عليه.

(٢) منهاج السنة النبوية –لابن تيمية (جـ ٤/ ٢٢٩، جـ ٣/ ٢٣١).

ذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار. ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء».

وقد ورد هذا الحديث عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**»(١).

وظهرت حكمته في إنفاذ جيش أسامة: في المحرم من هذه السنة ضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثًا إلى الشام وأميرهم أسامة بن زيد مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتكلم المنافقون في إمارته وقالوا: أمر غلامًا على جلة المهاجرين والأنصار.فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل وإنه لخليق للإمارة وكان أبوه خليقًا لها**». وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون منهم: أبو بكر وعمر فبينما الناس على ذلك ابتدئ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرضه. ثم توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب وكان معه في جيشه إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس وقال: إن معي وجوه الناس وحدهم ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون.

فقال: (لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أرد قضاء قضى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.قال عمر: فإن الأنصار تطلب إليك أن تولي أمرهم رجلًا أقدم سنًا من أسامة.فوثب أبو بكر وكان جالسًا وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله

(١) متفق عليه.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأمرني أن أعزله ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم وهو ماشٍ وأسامة راكب فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن! فقال: (والله لا نزلت ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي ساعةً في سبيل الله! فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تمحى عنه).

وبين لهم أن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة: ففي البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلس على المنبر فقال إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا له وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر).

واستعمله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أول حجة حجت من مدينة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلم المناسك أدق ما في العبادات، ولولا سعة علمه لم يستعمله، ونادى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

كل هذا وغيره يدل على تقدمه على الصحابة في العلم والفتيا وتسليمهم له وعدم منازعته في هذين المقامين وغيرهما.

:ǨǾǩɏǩł Ż ł ǰǽY ƝƩǆǲ ǫƘǞǭ Ǽə ǰǾǲƥł ǼǲƘƥ : ƻ YƘʂǩł ǫƘǞƷǩł

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾:

قال القرطبي: (أي أخرجوه -يعني النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منفردًا من جميع الناس إلا من أبي بكر) قال في تفسير المنار: إلا تنصروه فقد أوجب الله له النصر في كل حال وكل

وقت، حتى نصره في ذلك الوقت الذي لم يكن معه جيش ولا أنصار منكم، بل حال كونه ثاني اثنين أي: أحدهما، فإن مثل هذا التعبير لا يعتبر فيه الأولية ولا الأولوية؛ لأن كل واحد منها ثان للآخر، ومثله: ثالث ثلاثة، ورابع أربعة لا معنى له إلا أنه واحد من ثلاثة أو أربعة به تم هذا العدد. على أن الترتيب فيه إنما يكون بالزمان أو المكان، وهو لا يدل على تفضيل الأول على الثاني، ولا الثالث أو الرابع على من قبله، وسيأتي في حديث الشيخين: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**» إذ هما في الغار أي: في ذلك الوقت الذي كان فيه الاثنان في الغار المعروف عندكم وهو غار جبل ثور إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا.

ومن ذلك: لما أراد المشركون أن يضربوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يقتلوه بمكة دافع عنه الصديق فضربوه، عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (رواه البخاري) وفي حديث أسماء: فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقال: أدرك صاحبك. قالت: فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله. فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا رجع معه[1] [2].

وقال في الفتح: ولقصة أبي بكر هذه شاهد من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال: من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت. فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكنه أبو بكر. لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) منهاج السنة (جـ ٣/ ٤، جـ٤/ ٢٥٢، ١٦٦، ١٦٨).
(٢) أخرجه أبو يعلى، انظر فتح الباري (جـ٧/ ١٦٩).

أخذته قريش هذا يجؤه وهذا يتلقاه، ويقولون له: أنت تجعل الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله. ثم بكى علي. ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم. فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير منه، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا يعلن إيمانه[1].

ولم يختلف أَهلُ السيرَ في أَن أَبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لم يتخلف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مشهد من مشاهده كلها. وقام بقتال أهل الرّدة وظهر من فَضْلِ رأيه في ذلك وشدّته مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينَه، وقتل على يديه وببركته كلَّ من ارتَّد عن دين الله، حتى ظهر أمرُ الله وهم كارهون.

ƗƵƘō ǹƐơ Ƙǽ :(ƷƘŭǩƗ ǼƏ ƘǮǵ ƵƑ ǰǾǄƥƗ ǼǅƘƥ) ƝƐȴ ƕǩƗ ǼƏ ǰǾǄƥƗ ǼǅƘƥ :ŭƛƘȿǩƗ ǫƘǢǮǩƗ
:ƷƘŭǩƗ ǼƏ ǹƐƩ

قال: صاحب المنار: الغار والمغار والمغارة من مادة الغور، وغور كل شيء قعره وعمقه، فالغار في الجبل تجويف فيه يشبه البيت، وثور جبل من جبال مكة وعر المرتقى، وقد وصفه وحدد مسافة الطريق إليه من مكة المكرمة إبراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري إذ زاره في ١٨ ذي الحجة سنة ١٣١٨ هـ وكان يحرسه ثلة من الجيش المصري خوفا من فتك الأعراب به، فذكر أن المسافة بينه وبين معسكر المحمل المصري في المحل المسمى بالشيخ محمود من ضواحي مكة قريبة من خمسة أميال ونصف، وأنهم قطعوها على ظهور الخيل في ساعة وثلث ساعة، ثم قال في وصف الطريق والغار ما نذكره بنصه ليعلم القراء أن إيواء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إليه لم يكن بالسهل الذي لا مشقة فيه، وأنه ليس بالكبير الذي يعز العثور على من يستخفي فيه، قال:

---

(١) الفتح (جـ٧/ ١٦٩).

والطريق من مكة إلى الجبل تحفه الجبال من الجانبين، وبه عقبة صغيرة يرتفع إليها الإنسان وينحدر منها، ولم يستغرق قطعها إلا ثلاث دقائق، وبالطريق سبعة أعلام مبنية بالحجر ومجصصة فوق نشوز من الأرض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار، وقاعدته متر مربع، وتنتهي بشكل هرمي، وهذه الأعلام على يسار القاصد للجبل وبين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ متر وألف متر، وكل واحد منها وضع عند تعريجة؛ حتى لا يضل السالك عن الجبل، وساعة بلغنا الجبل قسمنا قوتنا (يعني عسكرهم) قسمين: قسم صعد معنا إلى الجبل، والآخر وقف بسفحه يرد عنا عادية العربان إن هموا بالأذى، وقد تسلقنا الجبل في ساعة ونصفها بما في ذلك استراحة دقيقة أو اثنتين كل خمس دقائق، بل في بعض الأحيان كنا نستريح خمس دقائق؛ لأن الطريق وعر حلزوني، وقد عددت ٥٤ تعريجة إلى نصف الجبل، وكنا آونة نصعد وأخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام، ولولا الإصلاح الذي أحدثه المشير عثمان باشا نوري الذي ولي الحجاز سنة ١٢٩٩هـ والمشير السيد إسماعيل حقي باشا الذي كان واليا على الحجاز، وشيخا للحرم سنة ١٣٠٧هـ لازدادت الصعوبة، وضل السائر عن الطريق ولم يهتد إلى الغار لعظم الجبل واتساعه وتشعب مسالكه، وكان من أثر إصلاحهما جعل الطريق بهيئة سلالم تارة تتصعد وأخرى تنحدر، على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبًا، فقد رأيت بعض الصاعدين امتقع لونه وخارت قواه فوقع على الأرض مغشيًّا عليه، ولولا أننا تداركناه بجرعة من الماء شربها وصبابة منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغتته المنية، ولهذا ننصح للزائرين بأن يتزودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب.

ولما بلغنا الغار وجدناه صخرة محوفة في قنة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ظهرها إلى أعلى، ولها فتحتان في مقدمها واحدة وفي مؤخرها أخرى، وقد دخلت من الغربية زاحفًا على بطني مادا ذراعي إلى الأمام، وخرجت من الشرقية التي تتسع عن الأولى قليلًا بعد

أن دعوت في الغار وصليت، والفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار في شبرين تقريبًا وهي الفتحة الأصلية التي دخل منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي في ناحية الغرب. أما الفتحة الأخرى فهي في الشرق ويقال: إنها محدثة؛ ليسهل على الناس الدخول إلى الغار والخروج منه، والغار من الجبل في الناحية الموالية لمكة، وقد وجدنا بجانبه رجلًا عربيًّا يتناول الصدقات من الزائرين في مواسم الحج، ويرشدهم إلى الغار إذ توجد هناك صخور تشبه صخرته ولكنها لا تماثلها تمامًا. انتهى (ما ذكره إبراهيم باشا رفعت في كتاب مرآة الحرمين)، وقد وضع في الكتاب صورة الغار وصورة الجبل برسم آلة الانعكاس الشمسي، فاستفدنا من ذلك كله أن الغار ضيق ووعر المرتقى وضيق المدخل. فعلمنا قدر المشقة التي أصابت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه، وسبب إشفاق الصديق وخوفه أن يراهما المشركون بأدنى التفات ولكن الله تعالى صرف أبصارهم.

وقد ورد في كتب الحديث والسيرة أخبار وآثار كثيرة في قصة الهجرة ودخول الغار، فيها كرامات وخوارق يتساهلون بقبول مثلها في المناقب وإن لم تصح بطرق متصلة يحتج بمثلها في الأحكام العملية، ولا في المسائل الاعتقادية بالأولى.

قال الحافظ في شرح حديث عائشة من الفتح: إن الإمام أحمد روى بإسناد حسن من حديث ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [الأنفال:٣٠] الآية. قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق -يريدون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الليلة وخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبونه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني: ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه، فلما أصبحوا ورأوا عليًّا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم،

فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال اهـ.

وذكر الحافظ روايات بهذا المعنى من مراسيل الزهري والحسن في بعض السير وغيرها ونقل عن دلائل النبوة للبيهقي من مرسل محمد بن سيرين: أن أبا بكر ليلة انطلق مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الغار كان يمشي بين يديه ساعة، ومن خلفه ساعة، فسأله (أي عن سبب ذلك) فقال: أذكر الطلب فأمشي خلفك. وأذكر الرصد فأمشي أمامك، فقال: «**لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني؟**» قال: إي والذي بعثك بالحق. فلما انتهى إلى الغار قال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار، فاستبرأه. وذكر أبو القاسم البغوي من مرسل ابن أبي مليكة نحوه، وذكر ابن هشام من زياداته عن الحسن البصري بلاغًا نحوه. اهـ

أقول -القائل رشيد رضا-: فهذه مراسيل عن كبار علماء التابعين يؤيد بعضها بعضا، وفي الموضوع روايات أخرى منها أن حمامتين عششتا على بابه، وفي بعض الروايات أن أبا بكر سد كل جحر كان في الغار بقطع من ثوبه، وهذا مراده من استبرائه.

وقال الحافظ قبل ذلك في شرح قول عائشة: ثم لحق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر بغار في جبل ثور: ذكر الواقدي أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر، وقال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يوم الاثنين، ودخوله المدينة كان يوم الاثنين. إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال: إنه خرج من مكة يوم الخميس. (قلت): يجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين؛ لأنه أقام فيه ثلاث ليال فهي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج في أثناء ليلة الاثنين. اهـ.

قال في تفسير المنار: وقد أجمع المسلمون على أن المهاجرين السابقين الأولين أفضل من سائر المؤمنين، وورد في فضائل الهجرة آيات وأحاديث كثيرة معروفة، وقد ثبت

بالكتاب والسنة والإجماع أن أبا بكر ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أول المهاجرين، وأنه امتاز بهجرته مع الرسول نفسه بإذن ربه ورغبته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل الإذن الإلهي له، إذ منع أبا بكر من الهجرة وحده انتظارا منه لإذن الله تعالى له بهجرته معه كما تقدم في الحديث الصحيح – فلا غرو أن يكون له كل ما علمنا من المزايا في الهجرة، وأن يكون بها أفضل المهاجرين بعد سيد المهاجرين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تكون صحبته أفضل وأكمل من صحبة غيره، وفي قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث مغاضبة عمر له على مسمع من الصحابة: «فهل أنتم تاركو لي صاحبي» إشعار بأن الصاحب الأكمل له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو قد أضافه إلى نفسه كما أضافه الله تعالى إليه في كتابه، إذ الإضافة هنا كالإضافة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، إضافة تشريف واختصاص، فإن جميع الخلق عبيد الله ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، وقد قال بعض الفقهاء إن من أنكر صحبة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكم بردته عن الإسلام؛ لتكذيبه بنص القرآن. وهاتان منقبتان في الصحبة والهجرة جعلناهما واحدة، وقد يثلثهما أنه لم يكن معه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين وصل إلى دار الهجرة والنصرة من أصحابه السابقين الأولين غير أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهو أول من رآه معه جماعة الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأول من صلى معه من المهاجرين أول جماعة، وأول جمعة ظهرت بها شعائر الإسلام).

:(ꓘDzūq̄ Ż ł ǯF) Ż ł ŋǾūq̄ āKÆȚǪƽł Æə ǰǾDzƥł ÆDZKƥ :ǰq̄KȐǩł qKĀǮǩł

قال الرازي في تفسيره: قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ولا شك أن المراد من هذه المعية، المعية بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة، وبالجملة فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شرك بين نفسه وبين أبي بكر في هذه المعية، فإن حملوا هذه المعية على وجه فاسد، لزمهم إدخال الرسول فيه، وإن حملوها على محمل رفيع شريف، لزمهم إدخال أبي بكر فيه، ونقول بعبارة أخرى، دلت الآية على أن أبا بكر كان الله معه، وكل من كان

الله معه فإنه يكون من المتقين المحسنين، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨] والمراد منه الحصر، والمعنى: إن الله مع الذين اتقوا لا مع غيرهم، وذلك يدل على أن أبا بكر من المتقين المحسنين».

قال في تفسير المنار: (إذ كان يقول لصاحبه الذي هو ثانيه وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين رأى منه أمارة الحزن والجزع، أو كلما سمع منه كلمة تدل على الخوف والفزع: لا تحزن، الحزن انفعال نفسي اضطراري يراد بالنهي عنه مجاهدته، وعدم توطين النفس عليه، والنهي عن الحزن وهو تألم النفس مما وقع، يستلزم النهي عن الخوف مما يتوقع، وقد عبر عن الماضي بصيغة الاستقبال (يقول) للدلالة على التكرار المستفاد من بعض الروايات، ولاستحضار صورة ما كان في ذلك الزمان والمكان ليتمثل المخاطبون ما كان لها من عظمة الشأن، وعلل هذا النهي بقوله: إن الله معنا أي: لا تحزن؛ لأن الله معنا بالنصر والمعونة والحفظ والعصمة، والتأييد والرحمة، ومن كان الله تعالى معه بعزته التي لا تغلب وقدرته التي لا تقهر، ورحمته التي قام ويقوم بها كل شيء، فهو حقيق بألا يستسلم لحزن ولا خوف، وهذا النوع من المعية الربانية أعلى من معيته سبحانه للمتقين والمحسنين في قوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٧-١٢٨] والفرق بينهما أن المعية في آية سورة النحل لجماعة المتقين المجتنبين لما يجب تركه والمحسنين لما يجب فعله، فهي معللة بوصف مشتق هو مقتضى سنة الله في عالم الأسباب لكل من كان كذلك، وإن كان الخطاب في النهي عن الحزن قبلها للرسول صلى الله عليه وسلم وأما المعية هنا فهي لذات الرسول وذات صاحبه غير مقيدة بوصف هو عمل لها بل هي خاصة برسوله وصاحبه من حيث هو صاحبه، مكفولة بالتأييد بالآيات، وخوارق العادات، وكبر العنايات، إذ ليس المقام بمقام سنن الله في الأسباب والمسببات،

التي يوفق لها المتقين والمحسنين المتقنين للأعمال. يعلم هذا التفاوت بين النوعين من الحق الواقع إن لم يعلم من اللفظ وحده، وهي من قبيل قوله تعالى لموسى وهارون إذ أرسلهما إلى فرعون فأظهرا الخوف من بطشه بهما: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٥-٤٦] وقد كان خاتم النبيين أكمل منهما إذ لم يخف من قومه الخارجين في طلبه للفتك به كما سنذكره، وكان للصديق الأكبر أسوة حسنة بهما إذ خاف على خليله وصفيه الذي شرفه الله في ذلك اليوم الفذ بصحبته، وإنما نهاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحزن لا عن الخوف، ونهى الله موسى وهارون عن الخوف لا عن الحزن؛ لأن الحزن تألم النفس من أمر واقع، وقد كان نهيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياه عنه في الوقت الذي أدرك المشركون فيه الغار بالفعل. روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس قال: حدثني أبو بكر قال: كنت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**» وأما الخوف فهو انفعال النفس من أمر متوقع، وقد نهى الله رسوليه عنه قبل وقوع سببه وهو لقاء فرعون ودعوته إلى ما أمرهما به، والنهي عن الحزن يستلزم النهي عن الخوف، كما تقدم، وقد كان الصديق خائفا وحزنا كما تدل عليه الروايات، وهو مقتضى طبع الإنسان) اهـ.

:ηDzØ Ğ šǩł ğłʒDŽ Ǽə ǰØDzþł ǼDŽĸþ :ŭɴKǭǩł ϙKĀǮǩł

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾: في هاء ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ ثلاثة أوجه:

**الوجه الأول:** أنها ترجع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويؤيد كون الضمير في ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضمير في ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ لأنه المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة كما كان في يوم بدر.

وعلى هذا التأويل: فلا وقف على ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ لتعلقه بما بعده، فالكلام مازال متصلا بشأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**الوجه الثاني**: أنها ترجع إلى أبي بكر، واحتج من نصر هذا القول بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مطمئنا لم تزل معه السكينة.

قال العلامة ابن عطية: (قال حبيب بن أبي ثابت الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يزل ساكن النفس ثقة بالله، قال القاضي أبو محمد: وهذا قول من لم ير السكينة إلا سكون النفس والجأش) اهـ[1].

قال الشوكاني: (أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس في قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ قال: على أبي بكر لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تزل معه السكينة)[2].

وعلى هذا التأويل: يوقف على ﴿عَلَيْهِ﴾ لعدم تعلقه بما بعده، حيث الانتقال من كلام أبي بكر، ثم انتقل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**الوجه الثالث**: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢] أي: يرضوهما، ذكره ابن الأنباري.

قال أبو حيان الأندلسي: الضمير في عليه عائد على صاحبه، قاله حبيب بن أبي ثابت، أو على الرسول قاله الجمهور، أو عليهما. وأفرده لتلازمهما، ويؤيده أنّ في مصحف حفصة: فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما. والجنود: الملائكة يوم بدر، والأحزاب

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٢/ ٤٣٧):» قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أشهر القولين وقيل على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تزل معه سكينة

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٤٠).
(٢) فتح القدير (٢/ ٥٢٦).

وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي الملائكة ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾». فابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يميل إلى ترجيح القول الأول بأن نزول السكينة كان على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستعمل سياق الآية في تقوية هذا القول. إلا أن الرازي ضعف هذا القول، وساق عدة أوجه لنصرة القول الثاني(١).

قال: «ومن قال الضمير في قوله عَلَيْهِ عائدًا إلى الرسول فهذا باطل لوجوه:

**الوجه الأول**: أن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات وأقرب المذكورات المتقدمة في هذه الآية هو أبو بكر لأنه تعالى قال إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ والتقدير إذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر لا تحزن وعلى هذا التقدير فأقرب المذكورات السابقة هو أبو بكر فوجب عود الضمير إليه.

**والوجه الثاني**: أن الحزن والخوف كان حاصلًا لأبي بكر لا للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان آمنًا ساكن القلب بما وعده الله أن ينصره على قريش فلما قال لأبي بكر لا تحزن صار آمنًا فصرف السكينة إلى أبي بكر ليصير ذلك سببًا لزوال خوفه أولى من صرفها إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه قبل ذلك ساكن القلب قوي النفس.

**والوجه الثالث**: أنه لو كان المراد إنزال السكينة على الرسول لوجب أن يقال إن الرسول كان قبل ذلك خائفًا ولو كان الأمر كذلك لما أمكنه أن يقول لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فمن كان خائفًا كيف يمكنه أن يزيل الخوف عن قلب غيره ولو كان الأمر على ما قالوه لوجب أن يقال فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن ولما لم يكن كذلك بل ذكر أولًا أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال لصاحبه لا تحزن ثم ذكر بفاء التعقيب نزول السكينة وهو قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ علمنا أن نزول

(١) مفاتيح الغيب (١٦ ٥٣).

هذه السكينة مسبوق بحصول السكينة في قلب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومتى كان الأمر كذلك وجب أن تكون هذه السكينة نازلة على قلب أبي بكر فإن قيل وجب أن يكون قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ المراد منه أنه أنزل سكينته على قلب الرسول والدليل عليه أنه عطف عليه قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهذا لا يليق إلا بالرسول والمعطوف يجب كونه مشاركًا للمعطوف عليه فلما كان هذا المعطوف عائدًا إلى الرسول وجب في المعطوف عليه أن يكون عائدًا إلى الرسول.

قلنا هذا ضعيف لأن قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ إشارة إلى قصة بدر وهو معطوف على قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ وتقدير الآية إلا تنصروه فقد نصره الله في واقعة الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها في واقعة بدر وإذا كان الأمر كذلك فقد سقط هذا السؤال» اهـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا حصل للمتبوع في هذه الحال سكينة وتأييد كان ذلك للتابع أيضًا بحكم الحال، فإنه صاحب تابع لازم، ولم يحتج أن يذكر هنا أبو بكر لكمال الملازمة والمصاحبة التي توجب مشاركة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التأييد، بخلاف حال المنهزمين يوم حنين، فإنه لو قال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الفتح:٢٦]، وسكت لم يكن في الكلام ما يدل على نزول السكينة عليهم لكونهم بانهزامهم فارقوا الرسول، ولكونهم لم يثبت لهم من الصحبة المطلقة التي تدل على كمال الملازمة ما ثبت لأبي بكر، وأبو بكر لما وصفه بالصحبة المطلقة الكاملة ووصفها في أحق الأحوال أن يفارق الصاحب فيها صاحبه -وهو حال شدة الخوف- كان هذا دليلًا بطريق الفحوى على أنه صاحبه وقت النصر والتأييد، فإن من كان صاحبه في حال الخوف الشديد، فلأن يكون صاحبه في حال حصول النصر والتأييد أولى وأحرى، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال لدلالة الكلام والحال عليها.

وإذا علم أنه صاحبه في هذه الحال، علم أن ما حصل للرسول من إنزال السكينة والتأييد بإنزال الجنود التي لم يرها الناس لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس، وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه، وهذا كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢] فإن الضمير في قوله: ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ إن عاد إلى الله: فإرضاؤه لا يكون إلا بإرضاء الرسول، وإن عاد إلى الرسول: فإنه لا يكون إرضاؤه إلا بإرضاء الله، فلما كان إرضاؤهما لا يحصل أحدهما إلا مع الآخر -وهما يحصلان بشيء واحد، والمقصود بالقصد الأول إرضاء الله وإرضاء الرسول تابع- وحَّد الضمير في قوله: ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ وكذلك وحَّد الضمير في قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠]؛ لأن نزول ذلك على أحدهما يستلزم مشاركة الآخر له، إذ محال أن ينزل ذلك على الصاحب دون المصحوب، أو على المصحوب دون الصاحب الملازم، فلما كان لا يحصل ذلك إلا مع الآخر وحَّد الضمير، وأعاده إلى الرسول، فإنه هو المقصود، والصاحب تابع له.

ولو قيل: (فأنزل السكينة عليهما وأيدهما) لأوهم أن أبا بكر شريك في النبوة، كهارون مع موسى حيث قال: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص:٣٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات:١١٤-١١٨]، فذكرهما أولا وقومهما فيما يشركونهما فيه، كما قال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦].

فلو قيل: (أنزل الله سكينته عليهما وأيدهما) لأوهم الشركة، بل عاد الضمير إلى الرسول المتبوع، وتأييدُه تأييدٌ لصاحبه التابع له الملازم بطريق الضرورة.

ولهذا لم ينصر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قط في موطن، إلا كان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أعظم المنصورين بعده، ولم يكن أحد من الصحابة أعظم يقينا وثباتا في المخاوف منه.

ولهذا قيل: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح) كما في السنن عن أبي بكرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هل رأى أحد منكم رؤيا فقال رجل أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان» فاستاء لها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء.

وقال أبو بكر بن عياش ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه (انتهى باختصار يسير)[١].

:ÆĦǩ âŧ ÿØæƎƢǩŧ Æə ǰØǅþŧ ÆǅǨþ :Ƹ‖Ǩūǩŧ ǫǨÆƷǩŧ

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾:

قال في تفسير المنار: أما ذكر التأييد بالجنود لقائد الدعوة، فلأنه هو كان هدف الكفار، وهو مقصدهم بالقتل في الدرجة الأولى، ولانّ تأييده بالجنود، ينتفع بـه الأتباع تبعا. وذلك مثل قوله تعالى عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء:٧٧] فقد نصره ونصره أتباعه، ولكنْ ذكر نصره فقط، لأنّه يشمل أتباعه تبعا له.

وقال أيضًا: تأييده بجنود لم يرها المخاطبون من المؤمنين وهي الملائكة بناء على القول بعطف جملة التأييد على جملة إنزال السكينة كما تقدم شرحه، ويأتي في هذا ما ذكرناه فيما قبله من الخصوصية، وجعل أبي بكر في مقام المؤمنين كافة مع تفضيله عليهم.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٨/ ٣٥٠٣٥٣).

وقال في موضع آخر: إنزال الله تعالى سكينته عليه على ما تقدم من التفسير المنقول المعقول، وهي منقبة لم يرد في التنزيل إثباتها لشخص معين قبله ولا بعده إلا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما ورد إثباتها لجماعة المؤمنين كما تقدم، وقد كان رضي الله تعالى عنه قائما مقام جميع المؤمنين في الغار وسائر رحلة الهجرة الشريفة في خدمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما نزل التنويه بذلك في أواخر مدة الهجرة أي: سنة تسع منها، وقد روينا لك ما قاله علي المرتضى كرم الله وجهه وغيره من تفضيله على جميع المؤمنين بهذه الآية من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه كان المبلغ لها عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موسم الحج.

:ΘłƐǾUǩł Ǻǩƒ ηŪƷƙȿƷǩłƿ ΘƙƮǩƙdžǩł Ǩǖə Ǽə ǰǾǅƥł ǼǄƙƥ :Ƹ ƚ Ǖ ǻYƙƮǩł ǫƙǢƷǩł

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في مجمع الزوائد: (والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا أبو بكر إليه) وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما عند أبي داود وحسنه الألباني-: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما. قال فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أبقيت لأهلك قلت مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله. قلت والله لا أسبقه إلى شيء أبدا.

وفي صحيح ابن خزيمة عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يزال يسمر عند أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي وخرجنا معه فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع قراءته فلما كدنا أن نعرف الرجل قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة بن أم عبد قال ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول سل تعطه مرتين قال فقال عمر فقلت والله لأغدون إليه فلأبشرنه قال: (فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني).

وجاء في صحيح البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ الله هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**» فَقَالَ أَبُو ب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ: «**نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**».

وروى البيهقي في سننه: «أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه شيع يزيد بن أبي سفيان حين بعثه إلى الشام ويزيد راكب وأبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يمشي فقال له يزيد يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل أنا فأمشي معك قال لا أركب ولا تنزل إنني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله».

*:Ǭǽƈ Ğ ǩł ǯƥƈĀǩł ŭǯƩ Ǽə ǰ ǾƥþłÆƥƙþ :ƈ ǂ Ǖ ÆƥƙŖǩł ǫƙĀǯǩł*

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «رحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين»(١).

عن زيد بن ثابت الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد

(١) عبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل (١/ ١٣٨) وإسناده حسن. البخاري (٤٤٠٢).

استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر، قال زيد بن ثابت، وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب، وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم» إلى آخرهما.

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

*:ĀǫUǩł ǰ s ƒ ǫǨǣǭ ǰ ǾǱƥł ǼǯǨƥ :Ƹ ǂ Ǖ ǷǩǨǨǩł ǫǨǣǮǩł*

لم يكن أبو بكر يفارق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلا أو نهارا، بل كان يلازم صحبته وزيارته، وكان شغله الشاغل خدمة النبوة ومطالعتها عن كثب فجازاه الله بذلك صحبة النبي في الهجرة. وهذا هو سر الموافقة الصديقية للسنة النبوية، تذكر أخي القارئ أن السيدة خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».

أليس هو نفسه ثناء ابن الدغنة على أخلاق أبي بكر الصديق؟! قال ابن الدغنة لأبي بكر: إن مثلك لا يَخرُج ولا يُخرج، فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح: «وفي موافقة وصف بن الدغنة لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يدل على عظيم فضل أبي بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال»(١).

*:TĀdžǩłþ ǸĀūǩł Æə ǰØǲþł Æǲǩþ :Ƹ ł Ǖ ǔƛłƐǩł ǫǨĀƷǩł*

فقد تعرض أبو بكر للأذى في عرضه في حادثة الإفك المشهورة، وكان ممن آذاه مسطح بن أثاثة، فلما أنزل الله براءة عائشة، قال أبو بكر الصديق -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-: «والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ** ﴾ [النور:٢٢] إلى قوله: ﴿ **وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا» رواه البخاري.

قال الفخر الرازي: وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ** ﴾: إنه سبحانه قال لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ** ﴾ [المائدة:١٣] وقال في حق أبي بكر: ﴿ **وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ** ﴾ فمن هذا الوجه يدل على أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع الأخلاق حتى في العفو والصفح.

- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس، فجعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجب، ويتبسم، فلما أكثر ردَّ عليه بعض قوله؛ فغضب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقام فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما

(١) فتح الباري (٧/ ٢٣٣).

رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنه كان معك مَلَك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان. ثم قال: يا أبا بكر، ثلاث كلُّهنَّ حقٌّ: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عزَّ وجلَّ إلا أعزَّ الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عَزَّوَجَلَّ بها قلة»(١).

*:Åǩǩūơ Ż ł Åǩƒ ŃŇŪyǩł Æə ǰ ØĐźþł ÆĐĶþ :Ƹ ǂ Ū 5 ǭĶUǩł ǫĶÆƷǩł*

أبو بكر أول من دعا إلى الله –بعد سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وكان له قدر عند قريش لما فيه من المحاسن، فجعل يدعو الناس إلى الإسلام من وثق به، فأسلم على يديه أكابر أهل الشورى: عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة، وهذا أفضل عمل. وكان يخرج مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو معه الكفار إلى الإسلام في المواسم ويعاونه معاونة عظيمة في الدعوة، بخلاف غيره. كان يجاهد الكفار مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الأمر بالقتال بالحجة والبيان والدعوة، كما قال تعالى: ﴿ **فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا** ﴾ [الفرقان:٥٢] وهذه السورة –سورة الفرقان– مكية نزلت قبل أن يهاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل أن يؤمر بالقتال. فكان أبو بكر أسبق الناس وأكملهم في أنواع الجهاد بالنفس والمال، فإنه جاهد قبل الأمر بالقتال وبعد الأمر بالقتال، منتصبًا للدعوة إلى الإيمان بمكة والمدينة يدعو المشركين ويناظرهم، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر**»(٢) فالصحبة بالنفس، وذات اليد هو المال. فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أمن الناس عليه في النفس، والمال(٣).

---

(١) رواه أحمد والبيهقة والهيثمي في مجمع الزوائد وقال رجاله رجال الصحيح

(٢) أخرجه الترمذي في مناقب الصديق رقم (٣٧٣٩)

(٣) منهاج السنة (جـ٣/ ٤، جـ٤/ ٨، ١٦٦، ٧، ٥٤، ٢٤٥، ٤٣).

:Ǻkǩūơ Ż ł ǨØШƽ Ǽə ηǼǞDzǩł Ǽə ǰØDzþł ǼDZǨþ :Ƹ ‡ Ū Ƨ YǨʂǩł ǫǨǼƷǩł

عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**». فبكى أبو بكر، وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا صريح في اختصاصه بهذه الفضيلة لم يشركه فيها علي ولا غيره»(١). وفي رواية «وقال: وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك»(٢) وروى الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ «ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة»(٣).

وكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وإنفاق أبي بكر لم يكن نفقة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طعامه وكسوته فإن الله أغنى نبيه عن مال الخلق أجمعين؛ بل كان معونة له على إقامة الإيمان. أخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا(٤).

وكان إنفاقه في أول الإسلام لتخليص من آمن والكفار يؤذونه أو يريدون قتله مثل اشترائه سبعة كانوا يعذبون في الله، منهم بلال، حتى قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإنفاقه على المحتاجين من أهل الإيمان في نصر الإسلام حيث كان أهل الأرض قاطبة أعداء الإسلام، وتلك النفقة ما بقي يمكن مثلها، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتفق على صحته -لما كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد كلام-: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»، فإن إطعام الجائع من جنس الصدقة المطلقة التي يمكن كل واحد فعلها إلى يوم القيامة. وقال يعقوب بن سليمان في تأريخه: حدثنا

---

(١) رواه الإمام أحمد (جـ٢/ ٢٥٣).

(٢) المسند (جـ٢/ ٢٦٦).

(٣) الترمذي رقم (٣٧٤١).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص٣٨).

الحميدي، قال: حدثنا سفيان، حدثنا هشام عن أبيه: أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم، فأنفقها في سبيل الله؛ أعتق بلالًا، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عبيس وقال أبو قحافة له: يا بني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو اعتقت قومًا يمنعونك. فقال: إني أريد ما أريد.

ولما هاجر استصحب ماله فجاء أبو قحافة، وقال لأهله: ذهب أبو بكر بنفسه فهل ترك ماله عندكم أو أخذه؟ قالت أسماء: فقلت: بل تركه، ووضعت في الكوة شيئًا وقلت هذا هو المال لتطيب نفسه أنه ترك ذلك لعياله، ولم يطلب أبو قحافة منه شيئًا. وهذا يدل على غناه. وأصحاب الصفة كانوا فقراء فحث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طعمتهم فذهب بثلاثة، وانطلق نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشرة وكان الصديق ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابة بعيدة، وكان ممن يتكلم في الإفك، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله أحب أن يغفر الله لي، فأعاد عليه النفقة. والحديث بذلك ثابت في الصحيحين).

- قال ابن القيم: «عاين - الصديق - طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار ويصيح من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا، فألقى له حب المال على روض الرضا، واستلقى على فراش الفقر، فنقل الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة، ثم علا على أفنان شجرة الصدق يغرد».

:yǵƶǩł Æə ǰ ǾǮƥł ÆǮƙþ :Ƹ ǂ Ǖ ǔƛƙ ƨǩł ǫƙĀǮǩł

أهل العلم يقولون: أزهد الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الزهد الشرعي- أبو بكر، وعمر؛ وذلك أن أبا بكر كان له مال يكسبه فأنفقه كله في سبيل الله.

وتولى الخلافة فذهب إلى السوق يبيع ويكتسب، فلقيه عمر وعلى يديه أبراد، فقال له: أين تذهب؟ قال: أظننت أني تركت المعيشة لعيالي. فأخبر بذلك أبا عبيدة والمهاجرين ففرضوا

له شيئًا، فاستحلف عمر وأبا عبيدة فحلفا له أنه يباح له أخذ درهمين كل يوم. ثم ترك ماله في بيت المال. وكان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: وَدِدْت أني خضرة -يعني عشبة- تَأْكُلُني الدّواب.

ولما حضرته الوفاة رد كل ما معه إليبيت المال:فقد ورد عن الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما احتضر أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: يا عائشة أنظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبح فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا مت فارددیه إلى عمر، فلما مات أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أرسلت به إلى عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك.

ثم لما مات نفذت عائشة أمره، فوجدت جرد قطيفة لا يساوي خمسة دراهم، وحبشية ترضع ابنه، وعبدًا حبشيًّا، وناضحًا، فأرسلت بذلك إلى عمر فقال: عبد الرحمن ابن عوف له: أتسب هذا عيال أبي بكر؟ فقال: كلا ورب الكعبة لا يتأثم منه أبو بكر في حياته وأتحمله أنا بعد موته. وقال: يرحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك)[1].

:ηŰƘ ʅ ǂ ǩł Ǽə ǰ ǾǄþł ǼǅƘþ :Ƹ ǂ Ū ǰ ǭƘŖǩł ǫƘǼǮǩł

الشجاعة تفسر بشيئين:

**أحدهما:** قوة القلب وثباته عند المخاوف.

**والثاني:** شدة القتال بالبدن بأن يقتل كثيرًا ويقتل قتلًا عظيمًا.

والقتال يحتاج إلى التدبير والرأي، ويحتاج إلى شجاعة القلب وإلى القتال باليد. وهو إلى الرأي والشجاعة في القلب في الرأس المطاع أحوج منه إلى قوة البدن.. والشجاعة إنما فضلها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله. وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد سبيل الله كانت إما وبالًا عليه إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له إن استعملها فيما لا يقربه إلى الله.

(١) المنهاج (٤/ ١٢٩) (جـ ١/ ٢١٧).

وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان أشجع الناس، لم يكن بعد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أشجع منه، هو أشجع من عمر، وعمر أشجع من عثمان، وعلي وطلحة والزبير. وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم؛ فإن أبا بكر باشر الأهوال التي كان يباشرها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أول الإسلام إلى آخره، ولم يجبن ولم يحرج، ولم يفشل. وكان يقدم في المخاوف يقي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنفسه، ويجاهد المشركين تارة بيده، وتارة بلسانه، وتارة بماله، وهو في ذلك كله مقدم.

وكان يوم بدر مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في العريش مع علمه بأن العدو يقصدون مكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو ثابت القلب، رابط الجأش، يظاهر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويعاونه ويذب عنه، ويخبره بأنا واثقون بنصر الله. والنظر إلى جهة العدو، وهل قاتلوا المسلمين أو لا؟ والنظر إلى صفوف المسلمين لئلا تختل، وتبليغ المسلمين ما يأمر به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذه الحال.

عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبيا لله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩] فأمده الله بالملائكة»(١).

وجاء في مسند البزار عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أيها الناس أخبروني بأشجع الناس قالوا أو قال قلنا أنت يا أمير المؤمنين قال أما أني ما بارزت أحدا إلا

(١) مسلم ك٣٢ ب١٨ (ص١٣٨٣، ١٣٨٤) البخاري (٦٤ ب٤).

انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن؟ قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلًا يهوى إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منه إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس فقال علي ولقد رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذته قريش فهذا يجأه وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا قال: فو الله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجاء هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟ ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلّت لحيتُه، ثم قال أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ذاك رجل كتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه.

:ǹǸÆƣƘł ǫƘĀǭ Æǝ ǰ ǾǅƥƗ ÆǅƘƥ :Ƹ ǂ Ǖ ǔ5ƘƣƘł ǫƘĀǮƘł

قال تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ**﴾ [الليل:١٧-٢٠] قال الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرحيم الودود: وفيه مسألتان:

**المسألة الأولى**: أجمع المفسرون منا -أهل السنة- على أن المراد منه أبو بكر رضي الله تعالى عنه، واعلم أن الشيعة بأسرهم ينكرون هذه الرواية، ويقولون: إنها نزلت في حق علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ**﴾ [المائدة:٥٥] فقوله: ﴿**ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ**﴾ إشارة إلى ما في الآية من قوله: ﴿**وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ**﴾، ولما ذكر ذلك بعضهم في محضري قلت: أقيم الدلالة العقلية على أن المراد من هذه الآية أبو بكر، وتقريرها: أن المراد من هذا الأتقى هو أفضل الخلق، فإذا كان كذلك، وجب أن يكون المراد هو أبو بكر، فهاتان المقدمتان متى

صحتا صح المقصود، إنما قلنا: إن المراد من هذا الأتقى أفضل الخلق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ والأكرم هو الأفضل، فدل على أن كل من كان أتقى وجب أن يكون أفضل.

فإن قيل: الآية دلت على أن كل من كان أكرم كان أتقى، وذلك لا يقتضي أن كل من كان أتقى كان أكرم، قلنا: وصف كون الإنسان أتقى معلوم مشاهد، ووصف كونه أفضل غير معلوم ولا مشاهد، والإخبار عن المعلوم بغير المعلوم هو الطريق الحسن، أما عكسه فغير مفيد، فتقدير الآية كأنه وقعت الشبهة في أن الأكرم عند الله من هو؟ فقيل: هو الأتقى، وإذا كان كذلك كان التقدير أتقاكم أكرمكم عند الله، فثبت أن الأتقى المذكور ههنا لا بد وأن يكون أفضل الخلق عند الله، فنقول: لا بد وأن يكون المراد به أبا بكر؛ لأن الأمة مجمعة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله، إما أبو بكر أو علي، ولا يمكن حمل هذه الآية على علي بن أبي طالب، فتعين حملها على أبي بكر، وإنما قلنا: إنه لا يمكن حملها على علي بن أبي طالب لأنه قال في صفة هذا الأتقى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ وهذا الوصف لا يصدق على علي بن أبي طالب؛ لأنه كان في تربية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه أخذه من أبيه وكان يطعمه ويسقيه، ويكسوه، ويربيه، وكان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منعما عليه نعمة يجب جزاؤها، أما أبو بكر فلم يكن للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليه نعمة دنيوية، بل أبو بكر كان ينفق على الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل كان للرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عليه نعمة الهداية والإرشاد إلى الدين، إلا أن هذا لا يجزى، لقوله تعالى: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان:٥٧] والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى، فعلمنا أن هذه الآية لا تصلح لعلي بن أبي طالب، وإذا ثبت أن المراد بهذه الآية من كان أفضل الخلق، وثبت أن ذلك الأفضل من الأمة، إما أبو بكر أو علي، وثبت أن الآية غير صالحة لعلي، تعين حملها على أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وثبت بدلالة الآية أيضًا على أن أبا بكر أفضل الأمة.

وأما الرواية فهي أنه كان بلالا [عبدا] لعبد الله بن جدعان، فسلح على الأصنام فشكا إليه المشركون فعله، فوهبه لهم، ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوه وجعلوا يعذبونه في الرمضاء وهو يقول: أحد، أحد، فمر به رسول الله، وقال: ينجيك أحد، أحد. ثم أخبر رسول الله أبا بكر أن بلالًا يعذب في الله؛ فحمل أبو بكر رطلًا من ذهب فابتاعه به، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده، فنزل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وقال ابن الزبير وهو على المنبر: كان أبو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم، فقال له أبوه: يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك، فقال: منع ظهري أريد. فنزلت هذه الآية.

**المسألة الثانية:** قال صاحب (الكشاف) في محل: (يتزكى) وجهان: إن جعلته بدلا من (يؤتي) فلا محل له؛ لأنه داخل في حكم الصلة، والصلات لا محل لها، وإن جعلته حالا من الضمير في (يؤتي) فمحله النصب.

*:LJʒäł Æə ŋəÊƲǩłƥ Ǭ Ǧ Ʈǩł ǫǨĀǭ Æə :ǯƥƐ ǂ ūǩł ǫǨĀƷǩł*

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٨/ ١٤٧):

«قلت: ولهذا قال بعض العلماء: في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لأن الخليفة لا يكون أبدًا إلا ثانيًا».

ولقد أطال بعض الباحثين في إثبات أحقية أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالخلافة ولعل السبب في ذلك -مع كونه معلومًا- أن الروافض شككوا في أحقيته بها دون علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسأذكر هنا بعض الأدلة التي استدل بها العلماء على أحقيته بها:

أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق بالخلافة من غيره لنصوص كثيرة، وأدلة وفيرة، لا تخفى على ذي علم وبصيرة بموارد الشريعة، ولا يتقدمه في هذه المنزلة أحد، ولا يسبقه إليها مستبق، وإليك الأدلة:

١- عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتت امرأة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول: الموت، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»(١).

٢- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه: ادعي لي أبا بكر وأخاك -يعني عبد الرحمن- حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر(٢).

قال الملا علي القاري: «لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه أي عبد الرحمن وأعهد: أي أوصي أبا بكر بالخلافة بعدي، واجعله ولي عهدي، أن يقول القائلون أي: لئلا يقول القائلون، أو مخافة أن يقول القائلون: لم يعهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي بكر الخلافة الكبرى، وإنما اقتصر على الخلافة الصغرى وهي الإمامة في الصلاة، مع أن فيها الإشارة إلى إقامة تلك الأمانة، أو يتمنى المتمنون أي: الخلافة لغيره من أنفسهم أو لغيرهم، فأو للتفريع لا للشك، وقال ابن الملك أي كراهة أن يقول قائل: أنا أحق منه بالخلافة، أو يتمنى أحد أن يكون الخليفة غيره»(٣).

وقال الملا علي أيضًا: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويأبى الله والمؤمنون**» أي: خلافًا للمنافقين والرافضة في أمر الخلافة، إلا أبا بكر، قال شارح: أي يأبيان خلافة كل أحد إلا خلافة أبي بكر انتهى.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) مرقاة المفاتيح (ج١١/ ص١٢١).

قال النووي رحمه الله: «وهذا دليل لأهل السنة على أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم صريحًا، بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله، ولو كان هناك نص عليه، أو على غيره، لم تقع المنازعة بين الأنصار وغيرهم أوّلًا.

وأما ما يدعيه الشيعة من النص على علي رضي الله عنه والوصية إليه فباطل لا أصل له، باتفاق المسلمين، وأول من يكذبهم علي حين سئل هل عندكم شيء ليس في القرآن؟ قال: «ما عندي إلا ما في هذه الصحيفة...» الحديث. «ولو كان عنده نص لذكره»[1].

وحديث الصحيفة أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي -ابن أبي طالب رضي الله عنه- هل عندكم كتاب؟ قال: «لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة» قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر».

٣- ما أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**».

٤- ما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: «إن الله تبارك وتعالى خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله، فبكى أبو بكر، وقال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من أمَنِّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر**»، و في لفظ لهما: «**لا يبقين في المسجد غير خوخة إلا خوخة أبي بكر**»[2].

---

(١) مرقاة المفاتيح (ج١١/ ص١٦٨).

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (ج١/ ص٥٦).

قال العلماء في هذه الأحاديث إشارة إلى خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهم وغيرها.

٥- ما أخرجه الحاكم وصححه، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك، فأتيته فسألته فقال: «إلى أبي بكر»، ومن لازم دفع الصدقة إليه كونه خليفة إذ هو المتولي قبض الصدقات.

٦- ما أخرجه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه الذي مات فيه: «ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[1].

٧- ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاشتد مرضه فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت عائشة يا رسول الله إنه رجل رقيق القلب، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس؟ فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس» فعادت فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف» فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له: يأمر عمر، فقالت له: فأبى حتى غضب وقال: «**أنتن أو إنكن أو لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر**».

:ÑÊdžǩł Æə ŋǭķǭ âł Æə ǰØĐþł ÆĐĸþ :ǯÞƐ ‡ ūǩłÞ åYĸƮǩł ǫĸĀǮǩł

عن عائشة قالت: لما ثَقُلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بِلال يُؤذِنُه بالصلاة فقال: «**مرُوا أبا بكر فليصلّ بالنّاس**»، قالت: فقلت يا رسول الله، إنّ أبا بكر رجل أَسيفٌ، وإنه متى يقم مقامك لا يُسمع النّاس، فلو أمَرْتَ عُمَرَ، قال: «**مروا أبا بكر يصلّي بالنّاس**»،

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (ج١/ ص٥٨).

فقلت لحَفْصَة: قولي له إنّ أبا بكر رجل أسيفٌ، وإنّه متى ما يقم مقامك لا يُسمع النّاس فلو أمرت عمر، قال: فقالت له حفصة، فقال: «إنّكُنّ لأنْتُنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس»، فقالت حفصة لعائشة: ما كنتُ لأصيبَ منكِ خيرًا، قالت فأمروا أبا بكر يصلّي بالنّاس، فلمّا دخل أبو بكر في الصّلاة وَجَدَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من نفسه خِفّةً فقام يُهادَى بين رَجُلَين، ورِجْلاه تَخُطّان في الأرض حتى دخل المسجد، فلمّا سمع أبو بكر حسّه ذهب يتأخّر، فأوْمَأ إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُمْ كما أنْتَ**»، قالت فجاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يصلّي بالنّاس جالسًا وأبو بكر قائمًا يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله والنّاس يقتدون بصلاة أبي بك)[١].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: إرسال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للصلاة، واستخلافه لها وحده، دون سواه حتى مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أجمل دليل على فضيلة أبي بكر، وتفرده بهذه المنقبة، وتقدُّمه على أصحابه ا.هـ[٢].

عن أنس قال (ان المسلمين بينما هم في صلوة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجاهم إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلوة ثم تبسم يضحك فنكص أبوبكر على عقبه ليصل الصف وظن ان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يخرج الى الصلوة قال أنس: وهم المسلمون أن يفتنوا في صلواتهم فرحًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأشار إليهم بيده أن أتموا صلوتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ثم قبض الضحى من ذلك اليوم)[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) إكمال المعلم (٢/ ٣١٩).

(٣) رواه البخاري.

وترجيحه في الإمامة على القراء منهم لكمال أهليّته، وأنه أسبقهم إلى كل خيرٍ، وأفضلهم علمًا وفقهًا.

وعن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خَـرَجَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصْلِحَ بين بني عَمْرِو بن عَوْفٍ في شَيْءٍ وَقَعَ بَيْنَهُمْ،... فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَأَذَّنَ بِلالٌ فَاحْتَبَسَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقَدَّمَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَجَاءَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ الناس في التَّصْفِيحِ، وكان أبو بَكْرٍ رَجُلًا لا يَلْتَفِتُ في الصَّلاةِ، فلما سمع ذلك الْتَفَتَ فَأَبْصَرَ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَشَارَ إليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِ اثْبُتْ فَرَجَعَ القهقرى، وَتَقَدَّمَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما قَضَى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فقال: يا أَبَا بَكْرٍ ما مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ حين أَشَرْتُ إِلَيْكَ؟ فقال: ما كان اللهُ لِيَرَى بن أبي قُحَافَةَ بين يَدَيْ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...[(١)].

ولقد حمل بعضهم إشارة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له إن أثبت أنها دلالة على تبويه مقام الإمامة وإن لم يؤم، فجعلوه كأنه في مقام من أمَّ.

*:ǳƸƛƴƠƥ ǴƷǶəƥ ǯƌƸǼǩƗ ǇDŽƸā Ǽə ǰǾDzƥƗ ǼDZǨƥ :ǯƥƸ ǂ ūǩƗƥ ǼDZǨƦǩƗ ǫǨǼǯǩƗ*

ثبت في المقام السابق أن أبا بكر هو المستحق للإمامة في الصلاة دون غيره من الصحابة لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس**» ومعلوم أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أوضح للأمة بصورة عامة من هو الأولى بالإمامة ففي الحديث: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا وفي رواية فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»[(٢)].

---

(١) رواه النسائي برقم (٥٣١٨).

(٢) رواه مسلم (٢٣٧٣) عن أبي مسعود الأنصاري

قال العلماء: الأقرأ يشمل معنيين:

**الأول:** الأكثر قرآنا. ويدل على ذلك ما عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ الْعُصْبَةَ -مَوْضِعٌ بِقُبَاءٍ- قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَؤُمُّهُمْ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا). وفي رواية: (وَفِيهِمْ عُمَرُ، وَأَبُو سَلَمَةَ، وَزَيْدٌ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ) فقوله: (وَكَانَ أَكْثَرهمْ قُرْآنًا) إِشَارَة إِلَى سَبَب تَقْدِيمهمْ لَهُ، مَعَ أن منهم من هو أفضل منه[١].

عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أباه أتى من عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لقومه: جِئْتُكُمْ وَالله مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا، فَقَالَ: «**صَلُّوا صَلاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا**»[٢].

قال عمرو: فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ. فهذا دليل صريح على أن الأكثر حفظًا للقرآن هو المقدم في الإمامة.

المعنى الثاني الذي يشمله (الأقرأ): الأحسن قراءة، وهو الذي تكون قراءتُه تامَّةً يقيم الحروف ويأتي بها على أكمل وجهٍ ولا يسقط منها شيئًا[٣].

:ǹ∂ƸǩƗ ƸǾǖǖơ ǫǨǞǭ Ǽə ǰǾǲƥƗ ǼǱƙƥ :ǯƿƸ ǂ ǖǩƗƿ ƤǩǨƦǩƗ ǫǨǞǮǩƗ

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلا أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا

(١) رواه البخاري (٦٩٢).
(٢) وروى البخاري (٤٣٠٢).
(٣) شرح بلوغ المرام» للعثيمين (٢/ ٢٦٧). الشرح الممتع (٤ / ٨٢).

به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل فقال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعبرها قال أما الظلة فالإسلام وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبت بعضا وأخطأت بعضا قال فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال لا تقسم)[١].

وروى ابن شهاب قال: رأى النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيا، فقصّها على أبي بكر فقال: «**يا أبا بكر رأيتُ كأنّي استبقتُ أنا وأنت درجة فسَبَقْتُك بمِرْقاتين ونصف**»، قال: خيرٌ يا رسول الله، يُبْقِيكَ الله حتى ترى ما يَسُرّك ويُقِرّ عَيْنَك، قال: فأعاد عليه مثل ذلك ثلاث مرّات، وأعاد عليه مثل ذلك، قال: فقال له في الثالثة: «**يا أبا بكر، رأيتُ كأنّي استبقتُ أنا وأنت درجة، فسبقتُك بمرقاتين ونصف**»، قال: يا رسول الله، يَقْبِضُكَ الله إلى رحمته، ومغفرته، وأعيش بعدك سنتين ونصفًا[٢].

*:yƕƚy ǂ ǩƚƥ ǰ ƮƷǩƚ Ǣə ƟǨƜƦǩƚ :ƷƥƩ ǂ ǖǩƚƥ ǔƛƚƸǩƚ ǫǨǼƷǩƚ*

لم يكن أحد في الصحابة أثبت منه عند الشدائد ونزولها ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

١- ثباته يوم موت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: روى البخاري عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوج النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرته قالت أقبل أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على فرسه من مسكنه بالسّنح

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» عن ابن شهاب مرسلًا.

حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتيمم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مسجّى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله ثم بكى فقال: بأبي أنت يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين أمّا الموتة الّتي كتبت عليك فقد متّها قال أبو سلمة فأخبرني ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكلّم النّاس فقال اجلس فأبى فقال اجلس فأبى فتشهّد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمال إليه النّاس وتركوا عمر فقال أمّا بعد فمن كان منكم يعبد محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنّ محمّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾، إلى قوله: ﴿ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، قال: ونشج الناس يبكون. والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أنّ الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتلقّاها منه الناس فما يسمع بشر إلا يتلوها قال عمر: والله ما هو إلّا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتّى ما تقلّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات).

٢- وفي حرب الردة: روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال لمّا توفّي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل النّاس وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله فمن قال لا إله إلّا الله عصم منّي ماله ونفسه إلّا بحقّه وحسابه على الله**» جاء في بعض الروايات أن أبا بكر قال لعمر: يا ابن الخطاب أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام)؟ والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصّلاة والزّكاة فإنّ الزّكاة حقّ المال والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدّونه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر فوالله ما هو إلّا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنّه الحقّ.

:ηǨǨ ă Uǩł Ǽə ǰ ǾǄþł ǼǄǨþ :ǯpƐ ǂ ūǩłp 5 ǭǨUǩł ǫǨĀǮǩł

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظهور فقال: يا أبا بكر إنا قليل.

فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه، وأثر ذلك حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم تتعادى فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه بيته ولا يشكون في موته، ورجع بني تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة و رجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلم آخر النهار: ما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟(١).

هذا الأثر طويل ولكني اقتصرت على موضع الشاهد منه.وقد تقدم بكامله عند ذكر المقام الثالث. ومن نماذج خطبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأومن به، وأتوكل عليه، وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومِن الشك والعمى، ومن يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، يعزُّ مَن يشاء ويُذلُّ مَن يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق،

---

(١) الرياض النضرة (١: ٤٦)، تاريخ ابن كثير (٣: ٣٠).

ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، أرسله إلى الناس كافة، رحمة لهم، وحجَّة عليهم، والناس حينئذ على شرِّ حال في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية، فأعز الله الدِّين بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وألف بين قلوبكم -أيها المؤمنون- فأصبحتم بنعمته إخوانًا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبيِّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون، فأطيعوا الله ورسوله، فإنه قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء:٨٠].

**أما بعد، أيها الناس:**

إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم، فإنه ليس فيها دون الصدق مِن الحديث خير، مَن يكذب يَفجر، ومَن يفجر يهلك، وإياكم والفخَر، وما فخرُ مَن خلق مِن تراب وإلى التراب يعود، هو اليوم حي وغدًا ميت، فاعلموا وعدوا أنفسكم في الموتى، وما أشكل عليكم فردُّوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيرًا تجدوه مُحضرًا؛ فإنه قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠].

فاتقوا الله -عباد الله- وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم، صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله، إنه غفور رحيم، فأنفسَكم أنفسَكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد أفضل ما صلَّيتَ على أحد مِن خلقك، وزكِّنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، اللهم أعنَّا على طاعتك، وانصرنا على عدوك.

٢- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان يحدث أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دخل المسجد وعمر بن الخطاب يحدث الناس، فأتى البيت الذي توفي فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فكشف عن وجهه برد حبرة، وكان مسجى به، فنظر إليه فأكب عليه ليقبل وجهه، وقال: والله لا يجمع الله عليك موتتين بعد موتتك التي لا تموت بعدها. ثم خرج إلى المسجد وعمر يكلم الناس فقال أبو بكر: اجلس يا عمر، فأبى فكلمه مرتين أو ثلاثا، فأبى، فقام فتشهد فلما قضى تشهده قال: أما بعد، فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ثم تلا: وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وتلا إلى: الشاكرين. فما هو إلا أن تلاها فأيقن الناس بموت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتى قال قائل: لم يعلم الناس أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر. قال الزهري: فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: لما تلاها أبو بكر: عقرت حتى خررت إلى الأرض وأيقنت أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قد مات(١).

٣- وعن هشام بن عروة، قال عبيد الله، أظنُّه عن أبيه، قال: (لما وَلِيَ أبو بكر، خطب النَّاس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعد، أيُّها النَّاس، قد وُلِّيت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسنَّ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّنن فعَلَّمنا فعَلِمنا. اعلموا أنَّ أَكْيَس الكَيْس: التَّقوى، وأنَّ أَحْمَق الحُمْق: الفجور. وأنَّ أقواكم عندي الضَّعيف، حتى آخذ له بحقِّه، وأنَّ أضعفكم عندي القويُّ، حتى آخذ منه الحقَّ. أيُّها النَّاس، إنَّما أنا متَّبع ولست بمبتدع. فإنْ أحسنت فأعينوني، وإنْ زِغْتُ فقوِّموني).

(١) المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين (٣/ ١٤).

:DłyQ̄ā ëł Æə ǰØǱþł ÆǱǨþ :ǯpƩ ǂ ūkłp Ƶ YǨ ʂ ǩł ǫǨĀǮǩł

والمقصود أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو الرجل الثاني بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاقتداء بأفعاله والأخذ بأقواله والتأسي بصفاته واتخاذه قدوة، كيف لا يكون كذلك وهو الذي جمع من الصفات والفضائل ما تقدم ذكره، بتأمل أخي القارئ في تلك المقامات إلى أن وصلنا إلى هذا المقام لتعرف قدره واستحاقه لأن يكون هو محل التاسّي والاقتداء، وقد دل على هذا قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)(١).

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلا سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددت لها؟**» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أنت مع من أحببت**».

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس: فأنا أحب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وأن أعمل بمثل أعمالهم(٢).

أشار بعض العلماء إلى فائدة جليلة من قول أنس: فأنا أحب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر، جمع أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه في المحبة، ومحبتهما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن المحبة الصادقة تقتضى موافقة المحبوب في محبة ما يحبه وبغض ما يبغضه، وأبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حبيباه وصاحباه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقد قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران:٣١] وقد جمع الله بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الدنيا وفي التربة في البرزخ وهما معه في الجنة، وهما

(١) رواه الإمام أحمد رواه الترمذي وحسنه، وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ونقل ابن كثير في النهاية تصحيح ابن حبان له، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير كما في فيض القدير فهو حديث صحيح

(٢) رواه أحمد (١٣٤١٩ و١٣٨٨٦)، وعَبْد بن حُمَيْد (١٢٩٦)، ومُسْلم (٧٥٢٠).

أفضل من ولدته النساء بعد الأنبياء والمرسلين، وأفضلهما الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعد عمر في الفضل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن سائر الصحابة أجمعين.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صحبت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السفر فلم يَزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت أبا بكر فلم يَزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت عمر فلم يَزد على ركعتين حتى قبضه الله،ثم صحبت عثمان فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله وقد قال الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١][1].

وروى الشيخان في (صحيحيهما) عن ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس يقول: «وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو علي فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما» دلالة على فضلهما، وتقديمُ صحبتهما. وفيه التحذير من البدع، فالذي يقتدي بالشيخين، ويعمل بسنة الرسول يكون بعيدًا عن الشبه، وأهل البدع وأهل الشبهات والشهوات لا يقتدون بالشيخين، ولا يقتدون بأبي بكر وعمر، وإنما يعملون بأهوائهم وشهواتهم؛ فلذلك انحرفوا وضلوا عن سواء السبيل. نعم.

وفي هذا الحديث من الإشارة، من الدلائل التي استدل بها الصحابة على أحقية أبي بكر بالخلافة، ومن بعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

:ŊǨəŇǩƗ ƗǕƼ Ǽə ǰØǅƥƗ ǼǅǨƥ :ǯƿƸ ǂ ūǩƗƿ ŭƛǨşǩƗ ǫǨĀǮǩƗ

أما سبب وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي صحيح مسلم عن أنس: أن امرأة يهودية أتت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة: ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم. ذكره البخاري تعليقا.

وأما سبب وفاة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقد توفي أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لثمان بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان قد سمه اليهود في أرز وقيل في حريرة وهي الحساء فأكل هو والحارث بن كلدة وقال لأبي بكر: أكلنا طعامًا مسمومًا سم سنة فماتا بعده بسنة وقيل: إنه اغتسل وكان يومًا باردًا فحُمّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة فأمر عمر أن يصلي بالناس)(١).

:ƸǕĀǩƗ Ǽə ǰØǅƥƗ ǼǅǨƥ :ǯƿƸ ǂ ūǩƗƿ ǰǬǨƦǩƗ ǫǨĀǮǩƗ

خرج ابن سعد والقاسم بن محمد: أن أبا بكر أوصى إلى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وألصق اللحد بقبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال: رأت عائشة كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار، فقصتها على أبي بكر وكان من أعبر الناس، فقال: إن صدقت رؤياك ليدفنن

---

(١) تاريخ الطبري: (٢/ ٣٤٤)، وكتاب المنتظم لابن الجوزي (٤/ ١٢٤).
(٢) تاريخ الخلفاء - السيرطي - (ص١٠٥).

في بيتك خير أهل الأرض ثلاثًا، فلما قبض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يا عائشة هذا خير أقمارك[١].

:ηǬƙǾĀƙǨ ǫǸǽ Ƹ ǂ Ƭƙǂ Ǽə ǰ ǾǲƥǂǼǲƙƥ :ǯƿƸ ǂ ǖƙǂƿ ǔƨƙǬƙǂ ǫƙǼǮƙǂ

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين**»[٢].

:ƝƸǞǕǮƙǂ ǨǾǲ Ǽə ǰ ǾǲƥǂǼǲƙƥ :ǯǸƥÊƦƙǂ ǫƙǼǮƙǂ

قال الفخر الرازي:: قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فإنه سبحانه ذكره بكناية الجمع على سبيل التعظيم، وأيضًا فإنه سبحانه علق غفرانه له على إقدامه على العفو والصفح فلما حصل الشرط منه وجب ترتيب الجزاء عليه، ثم قوله: ﴿يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ بصيغة المستقبل وأنه غير مقيد بشيء دون شيء فدلت الآية على أنه سبحانه قد غفر له في مستقبل عمره على الإطلاق فكان من هذا الوجه ثاني اثنين للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] ودليلا على صحة إمامته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن إمامته لو كانت على خلاف الحق لما كان مغفورا له على الإطلاق ودليلا على صحة ما ذكره الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خبر بشارة العشرة بأن أبا بكر في الجنة.

---

(١) المرجع السابق (ص١٨٥).

(٢) رواه الترمذي وحسنه والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٨) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: أحد رواته ضعيف، هامش المستدرك (٣/ ٦٨)، ورواه ابن حبان وصححه وابن عدي في الكامل.

# Λ +

## ǬHiĀǽƐȚơ Æə Lǰəłþ ƐǩłƉłǮ ǷǾDzĀơ

## ł āǨDzǮǩł ǳƵHiǩ ǬHiǬæǷШơþ

ǰǭ -ƐƽĀǮǩł- ÆƽŇǩÄǩ ǨǖШơ ǨøǉǮ ǷǾǁǮ ǷǮȚǭ ǷǾƽǩł ǳƳǮ Ǩǭ :ğþäł ǮŇȚǮǩł
:ǾǨHiШ ǂ ǩł

قال الشيخ رشيد رضا: وقد بسط ذلك الشهاب الآلوسي في تفسيره نقلا عنهم -الرافضة- وكان كثير الاحتكاك بعلمائهم في بغداد فقال ما نصه: وأنكر الرافضة دلالة الآية على شيء من الفضل في حق الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قالوا: إن الدال على الفضل إن كان: ثاني اثنين فليس فيه أكثر من كون أبي بكر متمما للعدد - وإن كان: إذ هما في الغار فلا يدل على أكثر من اجتماع شخصين في مكان، وكثيرا ما يجتمع فيه الصالح والطالح، وإن كان (لصاحبه) فالصحبة تكون بين المؤمن والكافر كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾ [الكهف:٣٧] - وقوله سبحانه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٍ ﴾ [التكوير:٢٢]، و﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ [يوسف:٣٩] بل قد تكون بين من يعقل وغيره كقوله:

إن الحمار مع الحمار مطية ... وإن خلوت به فبئس الصاحب

وإن كان لا تحزن فيقال: لا يخلو إما أن يكون الحزن طاعة أو معصية، لا جائز أن يكون طاعة وإلا لما نهى عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فتعين أن يكون معصية لمكان النهي، وذلك مثبت خلاف مقصودكم، على أن فيه من الدلالة على الجبن ما فيه -وإن كان إن الله معنا فيحتمل أن يكون المراد إثبات معية الله الخاصة له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وحده، لكن أتى

بـ«نا» سدا لباب الإيحاش، ونظير ذلك الإتيان بـ«أو» في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:٢٤] وإن كان: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة:٤٠] فالضمير فيه للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لئلا يلزم تفكيك الضمائر، وحينئذ يكون في تخصيصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالسكينة هنا مع عدم التخصيص في قوله سبحانه: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦] [ص:٣٩١] إشارة إلى ضد ما ادعيتموه -وإن كان ما دلت عليه الآية من خروجه مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في ذلك الوقت فهو عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يخرجه معه إلا حذرا من كيده لو بقى مع المشركين بمكة، وفي كون المجهز لهم بشراء الإبل عليا كرم الله وجهه إشارة لذلك. وإن كان شيئا وراء ذلك فبينوه لنتكلم عليه. انتهى كلامهم.

قال الشيخ رشيد رضا: ثم رد كل -الآلوسي- كلمة قالوها ردا علميا أدبيا مفحما، وما شرحناه في تفسير الآية، وما استنبطناه منها بمعونة أحاديث الهجرة من المناقب التي هي نصوص ظاهرة في تفضيل الصديق على جميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وعنهم، ولعن مبغضيه ومبغضيهم، وما سنزيده على ذلك هنا من إفحامهم يغنينا عن نقل عبارته، فإنه أقوى منه في تفنيدها هذا التحريف لكلام الله وكلام رسوله والافتراء المفضوح المعلوم بطلانه بالبداهة،

وإنما أختار من كلام السيد الآلوسي قوله في آخره:

«وأيضًا إذا انفتح باب هذا الهذيان أمكن للناصبي أن يقول والعياذ بالله تعالى في علي كرم الله وجهه: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يأمره بالبيتوتة على فراشه ليلة هاجر إلا ليقتله المشركون ظنا منه أنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيستريح منه.

وليس هذا القول بأعجب ولا أبطل من قول الشيعي إن إخراج الصديق إنما كان حذرًا من شره. فليتق الله من فتح هذا الباب، المستهجن عند أولي الألباب» اهـ.

**أولًا**: إنكم تزعمون أنه لا فضيلة في صحبة الصديق للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار، ويلزم منه لا فضيلة في صحبته، ولا في صحبة سائر المؤمنين له في غير الغار من أزمنة رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأولى؛ إذ تستدلون على ذلك بأن الصحبة تكون بين المؤمن والكافر والبر والفاجر وبين الإنسان والحيوان أيضًا. فإذا كنتم تلتزمون هذا الاستدلال فإنه يلزمكم خزيان لا مفر لكم منهما: أحدهما: أن صحبة الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلى الله قدره، ورفع ذكره، وصحبة الكافر أو الحمار سواء (وأستغفر الله تعالى من حكاية هذا الجاهل وإن كان حاكي الكفر ليس بكافر)؛ لأن كلا منهما تسمى صحبة في اللغة والعبرة عندكم بالتسمية دون متعلقها، أي أن ما أسند إليه الفعل، وما وقع عليه، وما لا شأن له عندكم في كونه حقًّا أو باطلًا أو فضيلة أو رذيلة. وما قلتموه في الصحبة يجري مثله في الهجرة، فإنه ثبت في الحديث الصحيح كما هو ثابت في الواقع أن الهجرة قد تكون إلى الله ورسوله، وقد تكون لأجل منفعة دنيوية أو امرأة يريد المهاجر أن يتزوجها. وإذ كان كل منهما يسمى هجرة، فالمهاجرون عندكم سواء في أنه لا فضيلة لهم، ولا أجر عند الله تعالى خلافًا لنصوص القرآن.

**ثانيًا**: أن الإيمان بالله تعالى والعبادة الخالصة له لا يعدان عندكم من الفضائل؛ لأنهما مشتركان في الاسم مع الإيمان بالجبت والطاغوت وعبادة الشيطان والأوثان فقد قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١]. وقال: ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤١] وقال: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [يس:٦٠] وقال: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس:١٨].

وإذا نحن انتقلنا إلى طبيعة الصحبة، وما فيها من العلم والحكمة، نقول: إن ما هذى به الروافض من صحبة المؤمن للكافر ونحوها إنما يصح في الصحبة الاتفاقية العارضة،

كصحبة يوسف لمن كان معه في السجن، والرجلين اللذين ضرب المثل بهما في سورة الكهف، دون صحبة المودة ولا سيما الدائمة؛ وذلك أن صحبة المودة الاختيارية لا تكون إلا بين المتشاكلين في الصفات والأفكار، كما يدل عليه حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم. وقد تعارفت روحا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر من قبل الإسلام فائتلفتا، وزادهما الإسلام تعارفًا وائتلافًا، حتى إنهما لم يفترقا في وقت من الأوقات، ولا في طور من الأطوار، وقد مهد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السبيل لاجتماع قبريهما إذ أرشد الأمة إلى دفنه في بيت عائشة الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو يعلم أنها لا بد أن تدفن والدها بجانبه وعلماء التربية والأخلاق يعدون الصحبة والمعاشرة ركنًا من أركان اقتباس كل من الصاحبين من الآخر، فيحثون على صحبة الأخيار، ويحذرون من صحبة الأشرار، قال الشاعر الحكيم:

**عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي**

وقال آخر:

**وقائل كيف تفارقتما ... فقلت قولا فيه إنصاف**

**لم يك من شكلي ففارقته ... والناس أشكال وآلاف**

**ثالثًا:** أنكم تزعمون أنه لا فضيلة للصديق الأكبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كونه مع الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثاني اثنين بشهادة رب العزة، ولا في كون الله عَزَّ وَجَلَّ ثالثهما؛ لأن العدد لا فضيلة فيه بزعمكم مهما تكن قيمة المعدود بذلك العدد، وأنتم تعلمون أن المؤمنين بكتاب الله تعالى وبرسوله لا يقولون إن لفظ «اثنين» أو لفظ «ثاني» أو «ثالثهما»، له فضيلة في حروفه أو تركيبها أو النطق به، وإنما يقولون إن الفضيلة للصديق الأكبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المعدود والمراد بلفظ ثاني اثنين في الآية وبلفظ «**ما قولك يا أبا بكر في اثنين الله ثالثهما**» في الحديث، فثلاثة رب العالمين أحدهم وسيد ولد آدم وخاتم النبيين

والمرسلين ثانيهم يكون لأبي بكر الصديق أعظم الشرف في أن يكون ثالثهم -أو كما قلتم متما للعدد- ويزيد هذا الشرف الذاتي قيمة أنه ليس يحصل مثله بالمصادفة، ولا بالكسب والسعي، وإنما الذي اختاره له هو رسول الله بإذن الله، والمخبر بذلك هو الله ورسوله. ولو وردت هذه الآية وهذا الحديث في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكرم الله وجهه لقلتم في الثلاثة حينئذ نحوا مما قالت النصارى في ثالوثهم (الآب والابن وروح القدس) كما قلتم في كونه كرم الله وجهه أحد الذين ثبتوا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حنين، فجعلتم هذا الثبات الذي لم ينفرد به، ولم يثبت بنص القرآن، ولا بحديث مرفوع، ولا مرسل متواتر، حجة على كونه وحده دون من اعترفتم بثباتهم معه سببا للنصر، وإنقاذ الرسول من القتل، وبقاء الإسلام والمسلمين في الوجود، وكما فعلتم في حديث مؤاخاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، إذ فضلتموه به على الصديق وغيره على حين قد ثبتت تسمية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصديق أخا له بأحاديث أصح من ذلك الحديث كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو كنت متخذا من أمتي خليلا دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخي وصاحبي رواه البخاري من حديث ابن الزبير وابن عباس وغيره، وهو يدل على أن أبا بكر عنده أعلى منزلة من جميع أمته. وقد قرأنا وسمعنا عنكم أنكم تفخرون بعدد آخر لم تثبت روايته بمثل ما ثبتت به رواية هذا العدد، ولا يبلغ درجته في عظمة المعدود. قال الفخر الرازي: واعلم أن الروافض في الدين كانوا إذا حلفوا قالوا: وحق خمسة سادسهم، وأرادوا به أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليا وفاطمة والحسن والحسين كانوا قد احتجبوا تحت عباءة يوم المباهلة فجاء جبريل وجعل نفسه سادسا لهم، فذكروا للشيخ الإمام الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أن القوم هكذا يقولون، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لكم ما هو خير منه بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**» ومن المعلوم بالضرورة أن هذا أفضل وأكمل اهـ.

وأقول: إن من أكبر جنايات الروافض على الإسلام والمسلمين أنهم جعلوا أبا بكر وعليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خصمين، وما ورد في مناقبهما معارضا بعضه ببعض، وكل هذا باطل، فما كانا إلا أخوين في الله، وفي نصر رسوله، وإقامة الإسلام، ولكل منهما مقام معلوم، وما ورد في مناقب علي أعلى الله مقامه أكثر مما ورد في مناقب غيره، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ. وقد غلط الرازي في نقله أن مسألة العباءة أو الكساء وردت في قصة المباهلة، فإن المعروف أنها وردت في إثبات جعل علي وزوجه وولديهما من أهل البيت النبوي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ داخلين في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]،والآية واردة في الأزواج الطاهرات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ إذ روي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمعهم معه في الكساء، ودعاء الله بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، والمقام لا يسمح بالبحث في هذه المسألة هنا.

**رابعًا**: أنكم زعمتم أن نهي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصديق عن الحزن يدل على أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عاصيًا بذلك الحزن ومتصفًا بالجبن، وهذا الزعم دليل على جهلكم بالقرآن، وبمقام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وباللغة، وبطباع البشر، وإنما أوقعكم في هذه الجهالات التعصب الذميم، وسوء النية فيه، وحسبي في إثبات جهلكم ما بينته في تفسير الجملة من معنى الحزن والنهي عنه، وأن جملة لا تحزن لم ترد في غير هذه الآية من القرآن إلا في خطاب الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي خطاب الملائكة للوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن كنتم تقولون إنها تدل على العصيان والجبن يلزمكم من الطعن في الرسول الأعظم، وفي نبي الله لوط ما هو صريح الكفر، بل أثبت الله تعالى عروض الحزن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفعل في قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] ومن المتواتر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أشجع الناس، وحسب الصديق شرفا أن ينهاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما نهاه ربه عنه، وأي شرف أعلى من هذا؟

**خامسًا**: أن ما زعمتموه من احتمال أن يكون المراد من جملة إن الله معنا إثبات المعية للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، لا يصدر مثله إلا عنكم بالتبع لملاحدة سلفكم الباطنية الذين قالوا مثل هذا في الصلاة والصيام، وغيرهما من العقائد وشرائع الإسلام، فإنه مما يأباه اللفظ والأسلوب والسياق والمقام، وإنما يقصد بالكلام الإفهام، وما زعمتموه صريح في أنه صلى الله عليه وسلم أفهم صاحبه غير الحق وأراد أن يغشه ويوهمه بالباطل أن الله معهما؟ حاش لله وحاش لرسوله، ما هذا إلا من نوع تحريف اليهود والباطنية لكلام الله، بما لا يليق بالله ولا برسوله. وهذه الجملة بعيدة أشد البعد عن جملة: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤] المراد بها استمالة الكفار المعاندين لاستماع حجج القرآن وكانوا ينهون عنه وينأون عنه (٦: ٢٦) والترديد فيها حق؛ فإن أحد الفريقين على هدى أو في ضلال مبين لا مفر من ذلك في نظر العقل، وهو لا يمنع أن يكون الواقع بالفعل أن المخاطب لهم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم على الهدى، وأن يكونوا هم في ضلال مبين.

**سادسًا**: زعمكم أن عليا كرم الله وجهه هو المجهز لهم بشراء الإبل لم يثبت برواية صحيحة، بل الثابت في الصحيح ما تقدم في حديث الهجرة الذي سردناه آنفا من شراء الصديق للراحلتين، وأخذه صلى الله عليه وسلم لإحداهما بالثمن. ولو ثبت قولكم لم يكن دالا على ما زعمتموه كما هو ظاهر.

هذا وإنني أعتقد أن قائلي ما ذكره المفسرون من تحريف الرافضة للآية الكريمة وللأحاديث الشريفة في مناقب الصديق ليسوا من الجهل باللغة العربية بحيث يعتقدون صحة ما قالوا وما كتبوا، وإنما هم قوم بهت يجحدون ما يعتدون، ويفترون الكذب وهم يعلمون، ويحرفون الكلم عن مواضعه كاليهود الأولين الذين حرفوا البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكدعاة النصرانية في هذا العصر، والذين وضعوا لهم قواعد الرفض

وخطط التأويل والتحريف هم ملاحدة الشيعة الباطنية أعداء الإسلام، الذين كانوا يتوسلون بها إلى هدم هذا الدين، وإزالة ملك العرب؛ تمهيدا لإعادة الديانة المجوسية والسلطة الكسروية، وقد وضعوا لهم من الأحاديث والآثار عن أئمة آل البيت في تحريف القرآن والغلو فيهم، ومن قواعد البدع ما كانوا به شر فرق المبتدعة في هذه الأمة، وقد برعوا في تربية عوامهم على بدعهم بما فيها من الغلو في تعظيم علي وآله بما هو وراء محيط الدين والعقل واللغة، والغلو في بغض الصديق والفاروق وذي النورين وأكابر المهاجرين وجمهور الصحابة، والطعن فيهم بما هو وراء محيط الدين والعقل واللغة أيضًا. وإنما خصو الخليفتين الأولين منهم بمزيد البغض والذم؛ لأنهما هما اللذان جهزا الجيوش وسيروها إلى بلاد فارس ففتحوها وأزالوا دينها وملكها من الوجود. وقد صارت هذه التقاليد راسخة بالتربية والوراثة حتى صار من يسمونهم العلماء المجتهدين يكتبون مثل ما نقلناه عن بعض المعاصرين منهم في الكلام على غزوة حنين، وهو أعرق في الغلو، وأرسخ في الجهل مما نقله الرازي والآلوسي هنا عن بعض متقدميهم. فإذا كان هذا حال من يسمونهم العلماء المجتهدين، فكيف يكون حال من وطنوا أنفسهم على التقليد في طلب العلم؟ ثم كيف حال عوامهم الذين يلقنونهم هذه الأضاليل ويربونهم على بغض من أقام الله بهم صرح هذا الدين، وصرح في كتابه العزيز بأنه رضي عنهم ورضوا عنه، وعلى لعن من فضله الله ورسوله عليهم كلهم؟ وناهيك بهذه الآية تفضيلا: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا**﴾ [النساء:١٢٢].

قال الشهاب الآلوسي (ولعمري إنه -كلام الرافضة- أشبه شيء بهذيان البمحموم أو عربدة السكران، ولولا أن الله سبحانه حكى في كتابه الجليل عن إخوانهم اليهود والنصارى ما هو مثل ذلك، ورده رحمة بضعفاء المؤمنين ما كنا نفتح في رده فما، أو نجري في ميدان تزييفه قلما).

:ƟǨĦǙШ ǂ ǩł ǰ ǭ ÆǅłƐǵƺǩł ǺǾƮǽ ǳY3 Ǩǭ :ÆǅǨȐǩł 3ǸƮǮǩł

قال يحيى بن موسى الزهراني:

تزعم الشيعة أن أبابكر وعمر اغتصبا الخلافة من علي وتآمرا عليه لكي يمنعوه منها.. الخ افترائهم.

نقول: لو كان ما ذكرتموه حقًّا فما الذي دعا عمر إلى إدخاله في الشورى مع من أدخله فيها؟ ولو أخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد أو قصد إلى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه أحد في ذلك بكلمة؟!

فصح ضرورة بما ذكرنا أن القوم أنزلوه منزلته غير غالين ولا مقصرين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وأنهم قدموا الأحق فالأحق والأفضل فالأفضل، وساووه بنظرائه منهم.

ويؤكد هذا: البرهان التالي؛ وهو: أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تولى بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سارعت طوائف المهاجرين والأنصار إلى بيعته، فهل ذكر أحد من الناس أن أحدا منهم اعتذر إليه مما سلف من بيعتهم لأبي بكر وعمر وعثمان؟! أو هل تاب أحد منهم من جحده للنص على إمامته؟! أو قال أحد منهم: لقد ذكرت هذا النص الذي كنت أنسيته في أمر علي؟!

لقد نازع الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودعوا إلى بيعة سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلا يخلو رجوع الأنصار كلهم إلى بيعة أبي بكر من أن يكون بسبب من هذه الأسباب:

١ – أن يكون بالقوة.

٢ – أو أن يكون عن ظهور حق أبي بكر بالخلافة؛ فأوجب ذلك الانقياد لبيعته.

٣– أو فعلوا ذلك لغير معنى. ولا سبيل إلى قسم رابع بوجه من الوجوه.

فإن قال الشيعة: إنما بايعوه بالقوة، فهذا كذب؛ لأنه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا سلاح، ومحال أن يرهب الأنصار وهم أزيد من ألفي فارس أبطال كلهم عشيرة واحدة قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهم، موطنين على الموت متعرضين مع ذلك للحرب مع قيصر الروم بمؤتة وغيرها، محال أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا معه فقط لا يرجع إلى عشيرة كثيرة ولا إلى موال ولا إلى عصبة ولا مال، فيرجعوا إليه وهو عندهم مبطل! بل بايعوه بلا تردد ولا تطويل.

وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم وعن بيعة ابن عمهم، فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون أنه باطل دون خوف يضطرهم إلى ذلك، ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه، ثم يسلمون كل ذلك إلى رجل لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا قصر ممتنع فيه ولا موالي ولا مال.

وإذ قد بطل كل هذا فلم يبق إلا أن الأنصار رضي الله عنهم إنما رجعوا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنهم لبرهان حق صح عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا لاجتهاد كاجتهادهم ولا لظن كظنونهم.

فإذا بطل أن يكون الأمر في الأنصار وزالت الرياسة عنهم، فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبي صلى الله عليه وسلم على خلافة علي؟! ومن المحال أن تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم!!

بما أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد نجحا في تنحية علي رضي الله عنه عن الخلافة -كما تزعم الشيعة-، فما هي المكاسب التي حققوها لأنفسهم؟! ولماذا لم يخلف أبو بكر أحد أولاده

على الحكم، كما فعل علي؟! ولماذا لم يخلف عمر أحد أولاده على الحكم كما فعل علي؟! فليجب على ذلك من خالف أمر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كلمة الحق: لقد كان الخليفة الحق بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أبو بكر الصديق؛ والدليل على هذا:

١- اتفاق الصحابة وإجماعهم على طاعته وانقيادهم لأوامره ونواهيه وتركهم الإنكار عليه، ولو لم يكن خليفة حقا لما تركوا ذلك، ولما أطاعوه، وهم من هم زهدًا وورعًا وديانة، وكانت لا تأخذهم في الله لومة لائم.

٢- أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالفه ولا قاتله، ولا يخلو: إما أن يكون تركه لقتاله خوفًا من الفتنة والشر، أو لعجز، أو لعلمه أن الحق مع أبي بكر.

ولا يمكن أن يكون تركه لأجل اتقاء الفتنة وخوف الشر؛ لأنه قاتل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل في الحرب الخلق الكثير، وقاتل طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقاتل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين علم أن الحق له ولم يترك ذلك خوفًا من الفتنة!

ولا يمكن أن يكون عاجزًا؛ لأن الذين نصروه في زمن معاوية كانوا على الإيمان يوم السقيفة ويوم استخلاف عمر ويوم الشورى، فلو علموا أن الحق له لنصروه أمام أبي بكر رضوان الله عليه؛ لأنه أولى من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمحاربة والقتال. فثبت أنه ترك ذلك لعلمه أن الحق مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا!

**سؤال مهم:** لماذا لا يكون علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو خليفة المسلمين، لاسيما ومكانة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معروفة، فهو ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوج بنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلماذا لا يكون هو الخليفة بعد رسول الله؟

**الجواب:** الجواب على هذا التساؤل من وجهين:

**الوجه الأول**: وردت جملة من الأحاديث التي تدل على فضيلة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كيف لا وهو من شهد لهم بالفضل والسبق عليه.

**الوجه الثاني**: أن انتقال الخلافة إلى غير آل البيت، كان بعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لحكمة أرادها الله عَزَّوَجَلَّ، ولعل السر أو الحكمة، هو حماية الرسالة النبوية.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «السر في خروج الخلافة عن أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي بكر وعمر وعثمان أن عليًّا لو تولى الخلافة بعد موته لأوشك أن يقول المبطلون: أنه ملك ورث ملكه أهل بيته فصان الله منصب رسالته ونبوته عن هذه الشبهة وتأمل قول هرقل لأبي سفيان هل كان في آبائه من ملك؟ قال: لا، فقال له: لو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه فصان الله منصبه الرفيع من شبهة الملك في آبائه وأهل بيته، وهذا هو السر والله أعلم في كونه لم يورث هو والأنبياء قطعًا لهذه الشبهة لئلا يظن المبطل أن الأنبياء طلبوا جمع الدنيا لأولادهم وورثتهم كما يفعله الإنسان من زهده في نفسه وتوريثه ماله لولده وذريته فصانهم الله عن ذلك جميعًا».

وأما قول الرافضة الإمامية أن هناك نص على تولية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فليس هناك دليل واحد يصحح مقالتهم، بل عندما أراد المسلمون الموالون لعلي أن يُبايعوه على الإمامة قال لهم: «دعوني والتمسوا غيري فأن أكون لكم وزيـرًا، خير لكم من أكون لكم أميرًا»[1] فهل يقول هذا القول من يُقال عنه أنه الخليفة والولي بالنص؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) كتاب نهج البلاغة (ج ١/ ص ١٨١: ١٨٢) للشيعي الشريف المرتضى.

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «والله ما كان لي في الولاية رغبة، ولا في الإمارة إربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها»[1].

وبعد هذا القول من صاحب الشأن، ليس بعد الحق إلا الضلال،كانت هذه رسالة مختصرة في إثبات الخلافة من بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأبي الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه والحمد لله أولًا وأخيرًا، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) نهج البلاغة (ج ١/ ص ٣٢٢).

# الخاتمة

أحمد الله في الختام على التمام كما حمدته في البدء على المنة والإنعام، وأسأله أن يجعل في هذا الكتاب المنفعة والفائدة للخواص والعوام، وأن يُتمَّ علينا وعلى المسلمين النعمة بدخول دار السلام والاجتماع بسيد الأنام محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبالصحب الكرام.

وأما ما استفدته من هذا البحث فأكتبه في هذه الفقرات:

١- تلك المقامات المذكورة في خصائص أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في (ثاني اثنين) ليس فيها حصر ولا استقصاء لمكانته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل هي عبارة عن نماذج لما كان عليه أبو بكر في منازل الإيمان ومقامات الإحسان لأنه في الحقيقة قد بلغ عالي الدرجات في مقامات الدين كله بدليل (ثاني اثنين)، وإن الذي أوردته هنا إنما جاء على حسب ما ورد من أدلة من القرآن والسنة والآثار.

٢- تلك المقامات التي وصل إليها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفضل الله عليه، مطلوبة من جميع أهل الإيمان -باستثناء ما لا يدرك لفوات زمنه كالصحبة- ولذا نقول لم يكن أبو بكر مكلف وحده بتلك المقامات كالزهد والشجاعة والصدق والجهاد والعلم والورع والتقوى وحسن الخلق وغيرها مما سبق، وكما قيل: إن ورقة الامتحان واحدة هي هي قُدمت إلينا كما قُدمت لأبي بكر إلا أنه حاز قصب السبق في النجاح في حلها ونال درجة الامتياز، فعلينا أن نتنافس للوصول إلى أعلى الدرجات في تلك المقامات طلبًا لمرضاة الله تعالى ومنافسة للصحب الكرام:

**فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح**

٣- معرفة مقامات الصديق في (ثاني اثنين) تفيد المؤمن محبة صادقة له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتصبح تلك المحبة مبنية على أدلة ثابتة تؤدي إلى يقين تام ومعرفة أصيلة بالصديق لا على مجرد العاطفة الإيمانية أو الحب المطلق للصديق خاصة وللصحابة عامة، ولذا كان لا بد من نشر تفاصيل تلك الخصائص والمزايا التي اختص بها الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولذا اغتنم هذه الفرصة وأقول أرجو أن ييسر الله لي إبراز خصائص الخلفاء الأربعة على هذا النحو نصرة لمذهب أهل السنة وإبطالًا لمذهب الشيعة الروافض وغيرهم من اصحاب الأفكار المنحرفة والعقائد الضالة المضلة وقانا الله وجميع المسلمين شرهم.

٤- تلك المقامات في (ثاني اثنين) تؤكد صحة ما ذهب إليه أهل السنة من اعتقاد جازم بأن أبا بكر هو أفضل الصحابة على الإطلاق لا يمكن لأحد منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يتطلَّع للوصول إلى منزلة الصديق فضلًا عن ادعاء الأفضلية عليه. ولذا قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر روى ذلك عنه من أكثر من ثمانين وجها ورواه البخاري وغيره ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر كما ذكر ذلك غير واحد»[(١)].

وعن أبي جحيفة: «أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صعد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثاني عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال يجعل الله تعالى الخير حيث أحب»[(٢)].

وقد ثبت عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[(٣)]، وفي رواية

(١) منهاج السنة (١/ ٣٠٨).
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٨٣٩)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده قوي».
(٣) رواه البخاري (٣٦٥٥).

قال: «كنا في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نفاضل بينهم»[1].

فهذه شهادة الصحابة كلهم ينقلها عبد الله بن عمر على تفضيل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على سائر الصحابة، ثم تفضيل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعده، ثم عثمان.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وعلينا معهم يا ذا الجلال والإكرام.

(١) البخاري (٣٦٩٧).

# إلقام الحجر

ƐǯŪƿ Ɛ Ǧ ƛ Ǽƛ ƙƙ5 Ǻ ǥ Ɛ ǰǯǩ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

للحافظ جلال الدين السيوطي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**وبه ثقتي**

أما بعد حمد الله، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، فقد سمعت من بعض المبتدئين: أن سابَّ الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تقبل شهادته، فهالني ذلك جدا ونهيته عن ذلك فما أفاد ولا أجدى، فوضعت هذه الرسالة إرشادا للمسلمين، ونصيحة للدين، ونقلت ما لأئمتنا في ذلك من مقال ونزلت ما أُوهِم خلافه على أحسن الأحوال، ورتبتها على فصول.

## ! +

## ĶǮĦǪNJə Ǽə ŶƷƿ ĶǮǾə

١ – قال الله تعالى: ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ** ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال المفسرون: المنزل عليه السكينة أبو بكر، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زالت عليه السكينة.

٢ – وقال تعالى: ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ** ﴾ [الليل: ١٧ – ٢١] قال المفسرون: هي نازلة في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣ – وعن أنس عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا قال: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[1].

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

٤- وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال. قلت يا رسول الله: أيُ الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» فقلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**» قلت: ثم من؟ قال: «**عمر بن الخطاب**»، [فعد رجالا](١).

٥- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث**» قال الناس: سبحان الله. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر**» أخرجاه وفي رواية لهما: «**وما ثم أبو بكر وعمر**» أي لم يكونا في المجلس، فشهد لهما بالإيمان بذلك لعلمه بكمال إيمانهما.

٦- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد أحدا، وأبو بكر وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فقال: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**».

٧- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان. (أخرجه البخاري) زاد الطبراني: فنعلم بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ينكره.

٨- وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقتدوا بالذينِ من بعدي، أبو بكر وعمر**».

٩- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء: فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض: فأبو بكر وعمر**»(٢).

---

(١) أخرجاه.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

١٠- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر وعمر: «**هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين**» رواه الترمذي وحسنه.

١١- وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أبو بكر وعمر في الجنة**»(١) الحديث رواه أصحاب السنن الأربعة، وقال الترمذي حسن صحيح.

١٢- وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»(٢).

١٣- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر ولا يرفع إليه أحد منهم بصره، إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويبتسمان إليه، ويبتسم إليهما. رواه الترمذي.

١٤- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج ذات يوم، فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: هكذا نبعث يوم القيامة..

١٥- وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو بكر: أما إنك قلت ذلك، فلقد سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

١٦- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر**»[١].

١٧- وعن عبد الله بن حنطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رأى أبا بكر وعمر، فقال «**هذان السمع والبصر**».

١٨- وعن أبي أروى الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: «**الحمد لله الذي أيدني بكما**» رواه البزار في مسنده.

١٩- وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتاني جبريل آنفا، فقلت حدثني بفضائل عمر بن الخطاب** [في السماء]. **فقال: يا محمد، لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر**»[٢].

٢٠- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس فقال: «**إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله**» فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه، أن يخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد خيّر، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا به[٣].

٢١- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أمنِّ الناس عليّ في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودته، لا تبقين في المسجد باب سدّ إلا باب أبي بكر**»[٤].

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده.

(٣) أخرجه الشيخان.

(٤) أخرجه البخاري.

٢٢- وعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عن أبيه) قال: أتت امرأة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك -كأنها تقول الموت- قال: «**إن لم تجديني فأت أبا بكر**»(١).

٢٣- وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كنت جالسا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أقبل أبو بكر، فسلم وقال إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر، ثلاثا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبا بكر، فقال: أثم أبو بكر. فقالوا: لا، فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثى على ركبتيه، فقال: والله أنا كنت أظلم مرتين. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إن الله بعثني إليكم، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي، مرتين» فما أوذي بعدها(٢).

٢٤- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنك لست تصنع ذلك خيلاء**»(٣).

٢٥- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله، دعي من ذلك من أبواب الجنة، يا عبد الله: هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**» فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة.

(١) أخرجاه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.

وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**»(١).

٢٦- وعن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: رأيت عقبة بن أبي مُعَيْط جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه: فقال: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»(٢).

٢٧- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: قلنا أنت يا أمير المؤمنين، قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه. ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم. فمما قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنى منا أحد إلا وأبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يُهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. فقال عليٌّ: ولقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخذته قريش، فهذا يجأه وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ قال: والله ما دنى منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم «أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله» ثم رفع علي بردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: لا تجيبوني، فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون. ذلك رجل كتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه(٣).

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البزار.

٢٨- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(١).

٢٩- وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاشتد مرضه، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، فقال: «**مري أبا بكر فليصل بالناس**» فعادت، فقال: «**مري أبا بكر فليصل بالناس**» فعادت فقال: «**مري أبا بكر فليصل بالناس، إنكن صواحب يوسف**» فأتاه الرسول، فصلى بالناس في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

٣٠- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»(٣).

٣١- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٤).

٣٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما لأحد عندنا يدٌ إلا وكافأناه، إلا أبو بكر، فإن له عندنا يد ا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط، ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن صاحبكم خليل الله**»(٥).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه الترمذي وحسنه.

(٥) رواه الترمذي وحسنه.

٣٣- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**»(١).

٣٤- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: والله لا أسبقه بشيء أبدا(٢).

٣٥- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أبا بكر دخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أنت عتيق الله من النار**» فيومئذ سمي عتيقا(٣).

٣٦- وعنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»(٤).

٣٧- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما عرج بي إلى السماء، ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوبًا: محمد رسول الله، أبوبكر الصديق**»(٥).

٣٨- وعن أسيد بن صفوان قال: لما توفي أبوبكر سجِّيَ بثوب، فارتجت المدينة بالبكاء، ودهش الناس، كيوم قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء علي بن أبي طالب مسرعًا مسترجعًا، وهو اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي، وأخرجه البزار بمثله من حديث عبد الله بن الزبير.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه البزار.

أبو بكر، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غنى، وأحفظهم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحدبهم على الإسلام، وآمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا، وأوثقهم عنده، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن المسلمين خيرًا.

٣٩- وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق في الأرض**»(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده.

٤٠- وعن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «وددت أني شعرة في صدر أبي بكر»(٢).

٤١- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر، فذكرت غيرتك، فوليت مدبرا فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله»(٣).

٤٢- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بينما أنا نائم شربت يعني اللبن حتى أنظر إلى الري يجري في أظفاري، ثم ناولته عمر**» فقالوا: فما أولته يا رسول الله قال: «**العلم**»(٤).

٤٣- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**رأيت الناس عرضوا علي، وعليهم قمص: منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر، وعليه قميص اجتره**» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «**الدين**»(٥).

---

(١) رواه البزار.

(٢) رواه مسدد في مسنده.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) رواه الشيخان.

٤٤- وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا قط إلا سلك الشيطان فجًّا غير فجك**»[(١)].

٤٥- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[(٢)].

٤٦- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**» فكان أحبهما إليه عمر[(٣)].

٤٧- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**» وقال ابن عمر: وما نزل بالناس أمر قط، فقالوا وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر[(٤)].

٤٨- وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب**»[(٥)].

٤٩- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر**» (قالت فرجفت).

٥٠- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر[(٦)].

٥١- وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده يدخله الجنة**»[(٧)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه الترمذي وحسنه.

(٥) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٦) رواه ابن ماجه.

(٧) رواه أحمد والحاكم وابن ماجه.

٥٢- وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إن الله وضع الحق على لسان عمر، يقول به»**(١).

٥٣- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر(٢).

٥٤- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أسلم عمر قال المشركون: لقد انتصف القوم اليوم منا، وأنزل الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال:٦٤](٣).

٥٥- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عمر سراج أهل الجنة»**(٤).

٥٦- وعن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هذا غلق الفتنة، وأشار بيده إلى عمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم»**(٥).

٥٧- وعن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل رجل من المهاجرين على أبي بكر وهو يشتكي في مرضه فقال له: أتستخلف علينا عمر، وقد عتى علينا، ولا سلطان له، فكيف لو ملكنا كان أعتى وأعتى، فكيف تقول لله إذا لقيته؟! فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه. فقال إن لله تعرفوني، فأنا أقول إذا لقيته: استخلفت عليهم خير أهلك(٦).

٥٨- وقد روى الترمذي عن محمد بن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما أظن رجلا ينتقص أبا بكر وعمر يحب النبي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه مسدد وابن منيع في مسنديهما.

(٣) رواه البزار.

(٤) رواه البزار والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .

(٥) رواه البزار.

(٦) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده.

## @ +

## ǸƩǾɯ ɡ ƘƷĦɯƽ Ʒƿ ƷƘǾƛ Ǽə

لا خلاف في ذلك بين السلف والخلف، ونقل (قول) من عد ذلك في الكبائر تطويل مشهور:

٥٩- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»**.

٦٠- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم»**(١).

٦١- وعن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إن الله اختارني، واختار أصحابي، وجعل لي منهم وزراء وأنصارا، وأصهارا، فمن سبهم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»**(٢).

٦٢- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره(٣).

٦٣- وعن عبد الله بن معقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»**(٤).

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه الطبراني في معجمه والحميدي في مسنده بإسناد حسن.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه الترمذي.

٦٤- وعن جابر سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الناس يكثرون، وأصحابي يقلون، فلا تسبوهم، لعن الله من سبهم**»[(١)].

٦٥- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعوا لي أصهاري وأصحابي، فإنه من حفظني فيهم كان معه من الله حافظ. ومن لم يحفظني فيهم، تخلى الله عنه، ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه**»[(٢)].

٦٦- وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام، ويلفظونه، فاقتلوهم**»[(٣)].

٦٧- وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من شتم الأنبياء، ثم أصحابي، ثم المسلمين**» وإذا نظرت حد الكبيرة، رأيته منطبقا عليه، فقد نقل الرافعي عن الأكثرين أن الكبيرة تنطبق عليه.

٦٨- ويشهد له ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعن، أو عذاب، فهو كبيرة».

٦٩- وروى البيهقي في الشعب عنه «كل ما نهى الله عنه كبيرة».

وصحح المتأخرون: إنها كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الدين».

وممن صحح ذلك ابن السبكي في جمع الجوامع. ثم عد سب الصحابة منها.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده.

(٢) رواه ابن منيع في مسنده.

(٣) رواه البزار.

وما أجدرها جريمة مؤذنة بالجرأة على الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقلة اكتراث فاعلها بالدين، لظنه الخبيث لعنه الله أن مثل هؤلاء يستحق السب، وهو مبرأ نقي تقي مستأهل للمدح، كلا والله بغية الحجر، بل إذا ظن أنهم يستحقون السب، اعتقدنا أنه يستحق الحرق وزيادة. وإذا عرفت أن سب الشيخين كبيرة بلا خلاف عرفت أن الساب لهما، لا تقبل شهادته، إذ لا يقبل إلا عدل وهو من لم يرتكب كبيرة، وسنزيد هذا وضوحًا.

# # +

## ǰØÚØǂǩŁ Ł5 ǬǦ f

اعلم أن ساب الشيخين فيه وجهان لأصحابنا حكاهما القاضي الحسين وغيره.

**أحدهما**: أنه يكفر، وجزم به المحاملي في اللباب.

**الثاني**: أنه فاسق، وعليه فتوى الأصحاب، ومن لا يكفر ببدعة.

فحينئذ لا يتخلص حاله عن أحد هذين الأمرين: إما الكفر، وإما الفسق، ولا يُقْبَل متصف بواحد منهما قطعا. وقد جزم بذلك، وأن فتواهم مردودة، وأقوالهم ساقطة (حكاه النووي) في أول شرح المهذب، وحكاه في الروضة في باب القضاء عن الخطيب وأقره، وقال به الغزالي والبغوي والرافعي في باب الشهادات.

وإن كان وقع في هذا الباب من زيادات الروضة تعميم قبول المبتدعة، حتى استشكل صاحب المهمات الجمع بينه وبين كلامه في باب القضاء، وشرح المهذب، و وهي الشبهة التيس تمسك بها من قال بالقبول، فلا يشك أن المبتدعة التي قال النووي بقبولهم هم من لا يفسق ببدعته، إذ الكلام فيهم كالشيعي القائل بتفضيل علي، وكمنكر القدر والرؤية ونحوهما ممن لهم تأويل، ويشهد لذلك أمور:

**الأول**: أنهم عللوه بأن العداوة في الاعتقاد، لا تقدح في العدالة، وقد عرفت أن سب الشيخين كبيرة قادح فيها.

**الثاني**: ما تقدم له في باب القضاء وفي شرح المهذب. الثالث: أنه قال في الموضعين المذكورين قبل ذكر عدم قبولهم، أن المبتدع الذي لا نكفره ولا نفسقه، فإنه يقبل على الصحيح. ثم عقبه بساب الصحابة والسلف، فإنه مردود، فعلم أن ما ذكره في باب الشهادات محمول على ما ذكره هنا، وإنما أطلق هنا حملا عليه. ولما علم من قاعدة الباب

أن الفاسق يقبل، فالساب مردود، لوصف الفسق، لا لخصوص وصف الابتداع، ومن خيل له الشيطان أن لساب الشيخين تأويلا يخرجه عن الفسق، فلا أدري ما أقول له كيف؟.

٧٠- وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سباب المسلم فسوق**» [رواه مسلم].

فإذا كان هذا في آحاد المسلمين، فما ظنك بأفضل الأمة، وأكرم الخليقة.

وفي الكفاية لابن الرفعة، قال الماوردي: يشترط لقبول شهادة أهل الأهواء بعد الإسلام ستة شروط:

١- كون التأويل سابقا، كتأويل البغاة، وإلا فهم فسقة.أن لا يدفعه إجماع.

٢- أن لا يعصي به، كالقدح في الصحابة رضوان الله عليهم، وهم الذين كانوا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حضرًا وسفرًا أو تابعوه في الدين والدنيا، أو وثق بسرائرهم، أو أفضى بأوامره و نواهيه إليهم دون من قدم من الوفود، وقاتل معه الأعراب، ثم القدح إن كان سبًّا ففاسق يعزر، أو بنسبة لفسق و ضلال وهو من العشرة، أو من أهل بيعة الرضوان، أو من لم يدخل في قتال صفين والجمل ن فكان ذلك قطعًا، أو ممن دخل فيهما، فكذلك على الأصح.

٣- أن لا يقاتل عليا ولا ينابذ فيه أهل العدل.

٤- أن لا يرى تصديق موافقيه على مخالفيه.

٥- أن يكون ظاهر التحفظ كغيره من أهل الحق، انتهى.

وليس في الرافضة شرط من هذه الشروط الستة، فضلا عن اجتماعهم فيهم.

وقال أئمة الحديث وآخرهم الذهبي في الميزان: البدعة على ضربين: صغرى: كالتشيع، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم، مع الدين والورع والصدق، فلا يرد حديثهم. وكبرى كالرفض والحط على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة.

قال: وأيضًا فلا أستحضر في هذا النوع رجلا صادقا ولا مأمونا بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم. انتهى.

فإذا كان هذا في باب الرواية مع أنها أوسع من الشهادة بلا خلاف، ولهذا اشترط في الشهادة: الحرية، والعدد، والذكورية في بعض المواضع دونها، فما ظنك بما هو أعظم حالًا وأضيق مجالًا.

وقال القاضي عياض في الشفا: سب الصحابة وتنقيصهم حرام ملعون فاعله، قال: وقال مالك: من قال: إن أحدا منهم على ضلال قتل، ومن شتمهم بغير هذا نكل نكالًا شديدًا، وعن مالك أيضًا قال: من سبهم فلا حق له في الفيء.

٧١- وروي عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه أراد قطع لسان رجل شتم المقداد بن الأسود، فكلم في ذلك فقال: دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم بعده أحد من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: وأفتى أبو المطرف الشعبي في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال: لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار، وصوّب قوله بعض المتسمين بالفقه، فقال أبو المطرف: قوله هذا لابنة أبي بكر موجب عليه الضرب الشديد والحبس الطويل، والفقيه الذي صوب قوله أحق باسم الفسق من اسم الفقه، فيتقدم إليه في ذلك، ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته، وهي جرحه تامة فيه، ويبغض في الله، انتهى.

فإذا كان فيمن لم يسب ولم يعرض بل أقر على قول من عرض فما ظنك بمن عرض أو صرح [بسب]، والغرض بهذا كله تقرير أنه فاسق مرتكب لعظيم من الكبائر، لا مخلص له إلى العدالة بسبيل، ومن كان بهذه الصفة، لا تقبل شهادته قطعًا، ثم من تخيل أنه لقبول ساب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وجهًا وتأويلًا، فليعلم أن هذا وإن كان فاسدًا، فالشيخان خارجان من ذلك، إذ تأويلهم إنما هو فيمن خامر الفتن ولابس قتل عثمان، أو قاتل عليًّا، والشيخان مبرآن من ذلك قطعا، ولهذا أجري الخلاف في تكفير

سابهما وساب عثمان وعلي دون غيرهما من الصحابة، وإن كان تأويلهم بذلك باطلًا مردودًا عليهم، ولسنا بصدد إقامة الحجة على ذلك، بل القصد ما بيناه، وفيه كفاية لمن رزق وأوتي دينًا وتوفيقًا يحجزه عن الوقوع في المهاوي، نسأل الله التوفيق بمنه وكرمه وجوده.

ثم رأيت الشيخ تقي الدين السبكي صنف كتابًا سماه: غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، بسبب رافضي وقف في الملأ وسب الشيخين وعثمان وجماعة من الصحابة، فاستتيب، فلم يتب، فحكم المالكي بقتله وصوَّبه السبكي فيما فعل، وألف في تصويبه الكتاب المذكور، وضمنه نفائس بديعات، ومآخذ جليلة واستنباطات، وذكر فيه ما يتعلق بمسألتنا هذه، فقال ما ملخصه: ذكر القاضي حسين من أصحابنا وجهين فيمن سب الشيخين أو الختنين:

**أحدهما**: يكفر، لأن الأمة أجمعت على إمامتهم.

**والثاني**: يفسق، ولا يكفر.

ثم نقل عن الحنفية نقولا كثيرة بعضها بالتكفير، وبعضها بالتضليل ثم مال السبكي إلى تصحيح التكفير لمآخذ ذكرها.ثم نقل عن المالكية والحنابلة نقولا كذلك ثم قال: وسئل محمد بن يوسف الفريابي عن من شتم أبا بكر فقال: كافر فقيل يصلى عليه. قال: لا. قال وممن كفر الرافضة أحمد بن يوسف وأبو بكر بن هانئ، وقالا: لا تؤكل ذبائحهم، لأنهم مرتدون، وكذا قال عبد الله بن إدريس الكوفي أحد أئمة الكوفة: ليس للرافضي شفعة، لأنه لا شفعة إلا لمسلم.

وقال أحمد: شتم عثمان زندقة، ثم قال: وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة أنهم فساق، وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر: عبد الرحمن ابن أبزى الصحابي.

ثم نقل الاتفاق على أن من استحل سب الصحابة فهو كافر، لأن أدنى مراتبه أنه مجرم فاسق، واستحلال الحرام والفسق كفر، ثم قال: فإن قلت: فإنما يكون استحلال الحرام كفرا إذا كان تحريمه معلوما من الدين بالضرورة، قلت وتحريم ساب الصحابة معلوم من الدين بالضرورة.

ثم أطال في تقريره، ثم أورد على نفسه، حيث اختار تكفير ساب الشيخين أو الختنين، وإن لم يستحل. فقال، فغن قلت فقد جزم القاضي حسين في كتاب الشهادات بفسق ساب الصحابة، ولم يحك فيه خلافًا، وكذلك ابن الصباغ في الشامل وغيره، وحكوه عن الشافعي فيكون ذلك ترجي، لعدم الكفر.قلت: لا، هما مسألتان:

**الأولى**: المذكورة في باب الشهادات في السب لمطلق الصحابة.

**الثانية**: المذكورة في باب الإمامة في سب الشيخين أو الختنين وهي محل الوجهين في الكفر والفسق.

قال: ولا مانع من أن يكون سب مطلق الصحابة موجبا للفسق، وسب هؤلاء الأربعة المخصوصين مختلفًا في كونه موجبًا للكفر أو الفسق، ثم قال في آخر كلامه: فنخلص أن سب أبي بكر على مذهب أبي حنيفة، وأحد الوجهين عند الشافعية كفر. وفي تخريج عند مالك، وعند أحمد: زندقة. انتهى.

فرع: قال في الروضة في الوصية: لو أوصى لأجهل الناس؟ حكى الروياني أنه يصرف إلى عبدة الأوثـان، فإن قال من المسلمين فإلى من يسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

# الفهرس

المقدمة..... ٥
**الفصل الأول: في بيان منزلة الصديقية وما يتعلق بها**..... ١١
**الفصل الثاني: تعريف موجز بأبي بكر الصديق رضي الله عنه**..... ١٩
**الفصل الثالث: آيات أُنزلت في مدح أبي بكر الصديق رضي الله عنه**..... ٢٥
الآية الأولى: في الصدق والتصديق..... ٢٥
الآية الثانية: آية قتال المرتدين..... ٢٦
الآية الثالثة: آية العفو والصفح..... ٢٧
الآية الرابعة: آية الغضب لله تعالى..... ٣٢
الآية الخامسة: آية النصرة وهي آية الغار ..... ٣٣
الآية السادسة: آية الصدقة وعتق الرقاب ..... ٣٨
الآية السابعة: آية الإخلاص ..... ٣٨
**الفصل الرابع: ماورد من الأحاديث النبوية في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه**.... ٤١
**الفصل الخامس: مقامات الصديق في قوله تعالى:**
﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾..... ٤٥
وقفات مع الآية الكريمة ..... ٤٦
المقام الأول: ثاني اثنين في مقام الإيمان ..... ٤٩
المقام الثاني: في دخول الجنة ..... ٥٠

المقام الثالث: في تحمل الأذي في الله تعالى...... ٥١
المقام الرابع: ثاني اثنين في العلم ...... ٥٤
المقام الخامس: ثاني اثنين في الفتيا ...... ٥٥
المقام السادس: ثاني اثنين في مقام نصرة دين الله الدليل ...... ٥٩
المقام السابع: ثاني اثنين في الهجرة...... ٦١
المقام الثامن: ثاني اثنين في استحقاق معية الله تعالى...... ٦٥
المقام التاسع: ثاني اثنين في إنزال السكينة...... ٦٧
المقام العاشر: ثاني اثنين في التأييد الإلهـي...... ٧٢
المقام الحادي عشر: ثاني اثنين في فعل الصالحات والمسارعة إلى الخيرات ...... ٧٣
المقام الثاني عشر: ثاني اثنين في جمع القرآن الكريم ...... ٧٤
المقام الثالث عشر: ثاني اثنين مقام حسن الخلق...... ٧٥
المقام الرابع عشر: ثاني اثنين في العفو والصفح...... ٧٦
المقام الخامس عشر: ثاني اثنين في الدعوة إلى الله تعالى ...... ٧٧
المقام السادس عشر: ثاني اثنين في النفقة في سبيل الله تعالى...... ٧٨
المقام السابع عشر: ثاني اثنين في الزهد ...... ٧٩
المقام الثامن عشر: ثاني اثنين في الشجاعة...... ٨٠
المقام التاسع عشر: ثاني اثنين في مقام التقوى...... ٨٢
المقام العشرون: في مقام الحكم والخلافة في الأرض...... ٨٤
المقام الحادي العشرون: ثاني اثنين في الإمامة في الصلاة...... ٨٧
المقام الثاني والعشرون: ثاني اثنين في قراءة القرأن وتدبره وفهمه...... ٨٩
المقام الثالث والعشرون: ثاني اثنين في تعبير الرؤى...... ٩٠
المقام الرابع والعشرون: ثاني اثنين في الثبات عند المحن والشدائد...... ٩١

المقام الخامس والعشرون: ثاني اثنين في الخطابة.....٩٣
المقام السادس والعشرون: ثاني اثنين في مقام الاقتداء .....٩٦
المقام السابع والعشرون: ثاني اثنين في سبب الوفاة .....٩٨
المقام الثامن والعشرون: ثاني اثنين في القبر.....٩٨
المقام التاسع والعشرون: ثاني اثنين في الحشر.....٩٩
المقام الثلاثون: ثاني اثنين في نيل المغفرة.....٩٩
**الفصل السادس: تفنيد آراء الروافض في تحريفهم وتبديلهم لهذه المناقب.....١٠٠**
المحور الأول: ما رده السيد محمد رشيد رضا تبعًا للآلوسي من الشبهات.....١٠٠
المحور الثاني: ما رده يحيى الزهراني من الشبهات .....١٠٨
الخاتمة.....١١٣
**إلقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (للسيوطي).....١١٧**
الفصل الأول: فيما ورد في فضلهما.....١١٩
الفصل الثاني: في بيان أن سبهما كبيرة .....١٣٠
الفصل الثالث: حكم سب الشيخين.....١٣٣
الفهرس.....١٣٨

~